مئة كتاب

تاريخ الأدب اليوناني

تأليف

دكتور محمد صقر خفاجة

باشراف إدارة الثقافة العامة
بوزارة التربية والتعليم بمصر

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

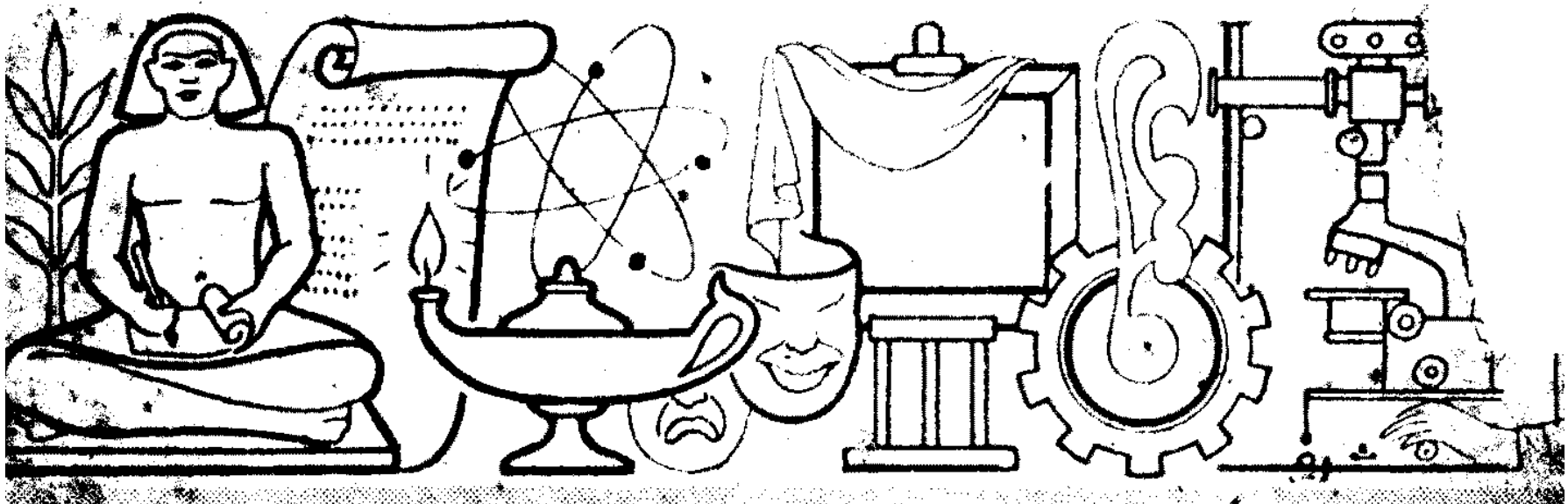

نشره مكتبة النهضة المصرية

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

الألف كتاب

تاريخ الأدب اليوناني

(٦١)

باشراف إدارة الثقافة العامة
بوزارة التربية والتعليم بمصر

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

الألف كتاب (٦١)

تاريخ الأدب اليوناني

تأليف

دكتور محمد صقر خفاجة

مكتبة النهضة المصرية

١٩٥٦

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

مقدمة

— ١ —

إن نظرة سريعة إلى خريطة بلاد اليونان تبين لنا تنوع طبيعتها : فيها الجبال الشاهقة (أولومپوس — وأثوس) والوديان الواسعة (يوروتاس) ، تنتشر بين أرجائها التلال والهضاب ، ومع أنها جبلية وأرضها صخرية فهى فى مجموعها بحرية تبدو كجوهرة فى قلادة تتدلى جنوب أوروبا متوغلة فى البحر الأبيض وسط الجزر المتناثرة . ولقد أدى تنوع التربة إلى تعدد المهن : فمن اليونان من اشتغل بزراعة الحبوب والأعناب والزيتون وفلاحة البساتين ، ومنهم من اشتغل برعى الأغنام والماشية . ولكن اليونانى بطبيعته كان يفضل الاشتغال بالملاحة . فالبحر كان يبتسم له ويغريه بركوبه ، ويدفعه إلى التنقل بين جنباته ، فخلق منه بحاراً مغامراً ، ذائع الصيت ، بنى الأساطيل العظيمة وغزا البحار وامتلك الإمبراطوريات . ولقد أثر هذا التنوع فى إنتاج اليونان الأدبى ؛ فظهرت فى أدبهم الملاحم الخالدة التى تصف المغامرات البحرية (الأوديسا) وللمعارك الحربية (الإلياذة) ، والملاحم التعليمية التى تلقن الفلاح تفليح الأرض وتعلمه طرق الزرع والحصد (الأعمال والأيام) ، والأشعار الرعوية التى تصف حياة الرعاة بالدقة والتفصيل (قصائد ثيوكريتوس) .

ومناخ بلاد اليونان متميز الفصول ، معتدل بصورة عامة ، ففى الربيع والصيف السماء صافية ، نقية زرقاء ، والجو جميل تلطفه نسمات رقيقة تأتى من البحر صبحاً ومساءً ، وفى الخريف والشتاء يقل المطر ويشتد البرد ، لكن الجليد لا يكاد يسقط فى الوديان ولا ينتشر إلا فوق قمم الجبال الشاهقة ، لذا فالصفاء والجفاف يسودان جو البلاد ، ولقد ساعد هذا المناخ المعتدل على رؤية الأشياء بدقة والنظر إليها بوضوح وجلاء ، وشجع اليونان على استخدام الألوان فى فنونهم ، وحبب إليهم الحياة فى الهواء الطلق ، والاجتماع فى السوق العامة لمقابلة الأصدقاء ومناقشة المسائل العامة وارتياد المسارح لمشاهدة روائع الشعر التمثيلى ، أو التردد على الطرقات للاستماع إلى الخطباء وعلماء البيان .

أما مناظر اليونان فهى فى غاية الروعة : فبين التلال تتشابك ، على مسافات متباعدة ، بعض الوديان الجميلة تكسوها الغابات ، ومع أن البلاد فى مجموعها قليلة الأشجار ، كثيرة التلال ، إلا أن هذه التلال بلونها البنى تكسب الأرض بهجة وجمالا ، يضفى عليها بزوغ الفجر وغروب الشمس ألواناً تلهب حاسة الجمال وتنطق الأدباء بأروع الأوصاف ، وكان التناسق التام بين هذه التلال القاتمة وزرقة البحر والسماء الداكنة يسترعى انتباه اليونانى ، ولقد خلقت هذه المناظر من اليونانى شخصاً مرهف الحس ،

شاعرى التصور ، يرى فى كل بقعة من الماء بحراً يشبه الخمر السمراء كما يصفه هوميروس ؛ وتحت كل شجرة من أشجار البلوط غابة يسمع فيها ألحان المزمار التى يعزفها « پان » فى كهفه ، ويتصور ربات الشعر فوق كل جبل ويتطلع دائماً إلى قمة الأولومپوس ، حيث تتربع الآلهة على عروشها .

وكان لهذا المناخ المعتدل ولتلك المناظر الخلابة تأثير كبير فى حياة اليونان الفكرية ، فكانوا يحبون التأمل ويتصفون بعمق التفكير ، يتميزون بالاعتدال ولا يميلون إلى المبالغة ، فكانوا يرددون هذه العبارة دائماً (إياك والتطرف) ، واتخذوا هذه الحكمة (اعرف نفسك) شعاراً لهم ونقشوها على معابدهم ، وسوف نرى أن معظم روائع الأدب المسرحى وكثيراً من مؤلفات القرن الخامس ق . م كانت تبرز هاتين الفضيلتين وتدعو إلى ضرورة التحلى بهما .

— ٢ —

ولـكن ما أصل هذا الشعب المجيد ؟ ومتى استوطن هذه البلاد ؟ وكيف تطور حتى تخلص من صفات البربرية واتخذ له شخصية مستقلة ؟

تجمع المصادر العليمة على أن جميع القبائل التى هاجرت إلى بلاد اليونان منذ أقدم العصور نزحت إليها أصلا من أواسط آسيا وأنها بدون استثناء تنتمى إلى الجنس الآرى وأن أفراد هذه القبائل كانوا يختلفون فى البنية والاستعداد الفـكرى واللغة اختلافاً كبيراً عن باقى الشعوب (الأصفر والأسود والأحمر والسامى) .

وليس من السهل أن نتتبع بدقة خط سير الهجرات الآرية التى جاءت إلى بلاد اليونان إذ يقال إنها بدأت تنزح إليها على شكل موجات متفرقة بطرق مختلفة ابتداء من القرن العشرين قبل الميلاد . فمنها ما جاء عن طريق البحر الأسود إلى تراقيا ثم اتجه إلى بلاد اليونان جنوباً ، ومنها ما جاء عن طريق آسيا الصغرى واستقر فى جزر بحر إيجه ؛ ومن ذلك نرى أن سكان بلاد اليونان الأصلية لم يكونوا شعباً متجانساً بل مجموعة من القبائل من المحتمل جدا أنها كانت تستخدم لهجات مختلفة ، ومن المحتمل أيضاً أنها كانت متنافرة ، تختلف إحداها عن الأخرى فى طبيعة عملها ؛ فمنها ما كانت زراعية ، ومنها ما كانت حربية ، ومنها ما اشتغلت بالرعى أو الملاحة ، ومنها ما عاشت فى الجبال واشتغلت بالصيد . وبالرغم

من هذا التباين اعتاد المؤرخون ، ومن بينهم مؤرخو اليونان القدماء ، أن يسموا هذه القبائل بالقبائل البلازجية (Pelasgii) التى لم يبق من آثارها إلا عدد من الأسوار بنيت بدون استخدام الملاط ، وفيما عدا ذلك فنحن لا نعرف شيئاً عن هذه القبائل ولا عن الفترة التى عاشوا فيها ، لذا تعتبر هذه الفترة مرحلة تمهيدية لتاريخ اليونان الذى يبدأ فى القرن الخامس عشر ق . م بعدة غزوات متتالية نزحت من أواسط آسيا إلى بلاد اليونان . وكانت أولى هذه الغزوات فى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد تقريباً قام بها الآخيون الذين غزوا معظم بلاد اليونان إلا سهل أتيكا وثساليا والشمال الغربى ، وآخر هذه الغزوات هى التى قام بها الدوريون فى أوائل القرن الحادى عشر ق . م تقريباً . وأشهر هذه القبائل التى تهمنا فى دراسة الأدب اليونانى هى :

قبائل الآخيين الذين احتلوا البيليبونيس واستوطنوها وبقوا فيها حتى طردهم الدوريون وقد بلغت حضارتهم درجة من الازدهار جعلت هوميروس يطلق اسمهم على جميع اليونان .

وقبائل الايوليين الذين استقروا فى غرب بلاد اليونان ، ثم غزا فريق منهم سواحل آسيا الصغرى واحتلوا الجزء الشمالى منها فى بداية القرن الحادى عشر .

وقبائل الأيونيين الذين احتـــلوا الجنوب الشرقى من بلاد اليونان

وأسسوا مدينة أثينا واتخذوها عاصمة لهم و بقوا فى هذا الجزء حتى ضاق بهم عندما لجأ إليهم عدد كبير من سكان البيليبونيس فراراً من وجه الدوريين ، فغادر فريق من الأيونيين سهل اتيكا إلى آسيا الصغرى وأنشئوا هنـاك مع جماعة من الدوريين مستعمرة أيونيا .

وقبائل الدوريين الذين استقروا فى البيليبونيس بعد أن طردوا منها الآخيين واحتلوها واتخذوا اسپرطة عاصمة لهم فى بداية القرن الحادى عشر ق.م.

استمرت إذن فترة الغزوات والهجرات ما يقرب من أربعة قرون ، استقرت بعدها هذه القبائل ببلاد اليونان وأسست المستعمرات على سواحل آسيا الصغرى ، وانتشرت فى جزر بحر ايجه والبحر الأبيض المتوسط .

ولقد امتلأت هذه الفترة بالحروب وأعمال البطولة الخارقة والرحلات الخيالية التى تغنى بها شعراء اليونان فيما بعد . فهذه الفترة هى التى شاهدت حرب طيبة وحرب طروادة ، وفيها عاش هيراكليس وثسيوس أشهر بطلين عند اليونان ، وأثناءها حدثت رحلة الأرجونوتيكا ، وفيها ظهرت أعرق الأسر اليونانية (مثل أسرتى Labdacides, Pelops) التى انحدر منها أعلام اليونان الخالدون .

وعندما انتهت هذة الفترة بدأت أول مراحل التاريخ اليونانى الحقيقية أى المرحلة التى تـكونت فيها شخصية الشعب اليونانى إذ زال التنافر من بين القبائل المختلفة ، و بدأت كل مجموعة منها تستقر استقراراً تاماً وتقيم

لنفسها ولايات بالمعنى الصحيح . فكونت القبائل الدورية فى البيليبونيس عدة دول قوية منظمة وكذلك أنشأت القبائل الأيونية دولة مستقرة فى سهل أتيكا ، ومنذ ذلك الوقت أصبح الدوريون والأيونيون قوتين متنافستين لكل منها طابع خاص . . . الدوريون يتمسكون بالتقاليد ويحافظون على النظام ، متزمتون لايحبون الاختلاط ، أما الأيونيون فيحبون التجديد ، يقدسون الحرية ، يميلون إلى الاتصال بالغير ويسعون إليه . أما القبائل الأخرى غير الدورية وغير الأيونية فقد اعتاد المؤرخون أن يسموها بالقبائل الأيولية ، وقد استقرت فى غرب بلاد اليونان وفى بعض أجزاء من سواحل آسيا الصغرى . وعندما استقرت هـذه القبائل وأصبحت لها حكومات منتظمة ، اتحدت وصارت كتلة متماسكة تقف صفاً واحداً فى وجه الأجانب (barbari) ، وأطلقت على نفسها اسم (الهيلينيين[1]) . وقد ظهرت هذه التسمية أولا فى شمال بلاد اليونان ثم انتشرت فى أرجائها المختلفة وساعد على سرعة انتشارها أصلها الدينى القديم . ولقد فضلت القبائل هذه التسمية على أسمائها الخاصة لأن هذه كانت تشير إلى الفرقة والانقسام ، بينما أدت التسمية الجديدة إلى اتحاد قومى أخذ يقوى بمرور الزمن بفضل الأعيـــاد العامة التى كان يشترك فى إقامتها جميع الهيلينيين .

(١) إن كلمة أغريق وردت لأول مرة عند أرسطو ، وكان يطلقها على قبيلة صغيرة تقيم على الساحل الغربى لبلاد اليونان ، ولقد استعمل الرومان اسم هـذه القبيلة للدلالة على اليونان جميعاً .

— ٣ —

كانت القبائل اليونانية تستخدم عـــدة لهجات أهمها **الأيولية والدورية والأيونية والأتيكية** . وكانت توجد بين هـذه اللهجات فروق لـكنها غير جسيمة لأن هذه اللهجات كانت من أصل واحد ولأن اختلاط القبائل ، بعد استقرارها فى بلاد اليونان ، أدى إلى اندماج لهجاتها وتأثير بعضها على البعض الآخر . وبمرور الزمن اختفت أغلبية الفروق ولم تبق إلا اختلافات طفيفة أهمها ما يتعلق بنطق الحروف اللينـة وظهور بعض الحروف الجامدة فى إحدى اللهجات واختفائها من اللهجات الأخرى . فاللهجة الدورية تتميز باستخدام الحرف اللين (a) طويلا بدلا من حرف ال (e) فى اللهجة الآتيكية ، واللهجة الأيوليه تحتفظ بحرف الديجاما (F) الذى يختفى فى اللهجات الأخرى . وجدير بالذكر أن اللهجة الآتيكيـة — لغة الآثينيين — لم تـكن إلا صورة منقحة للهجة الأيونية ، اشتقت منها بعد تشذيبها وتخليصها من كل مظاهر التصنع فى مقاطعها ونطقها ، لذلك لا توجد بين هاتين اللهجتين فروق تستحق الذكر مما جعل علمـاء اللغة يتحدثون عنهما كأنهما لهجة واحدة لقوة الصلة التى تربطهما ، كذلك اشتقت من اللهجة الآتيكية ، بعد أن فقدت كثيراً من قوتها وصفائها ،

اللهجة العامية (Koiné) التى انتشر استخدامها فى عصر الاسكندرية بعد زوال عظمة أثينا .

وتمتاز اللغة اليونانية بموسيقاها العذبة ونغمها الجميل وسهولة نطقها وتعدد حركاتها وهى غنية بمفرداتها ، مرنة فى قواعدها ، تتميز بكثرة النهايات فى إعراب الأسماء وتصريف الأفعال وتعدد صيغها وأزمنتها ومصادرها مما لم يتسن لأية لغة من اللغات الآرية القديمة أو الحـديثة لذلك كانت أداة تعبير لفنون الحياة المختلفة وفروع الثقافة المتعددة ، فاستطاع الناطقون بها أن يتركوا للانسانية تراثا متنوعاً يمتاز ، كما سنرى ، على آداب العالم بوفرته وروعته .

أما دين اليونان فله صلة وثيقة بأدبها إذ يرجع إليه الفضل فى إلهام الشعراء والـكتاب بالجزء الأكبر من روائع أعمالهم . لذا يجب علينا أن نهتم بمعرفة أصول هذا الدين رغم ما به من أساطير وخرافات ، خاصة وأن العلم الحديث لم يستطع بعد أن يفسر لنا كل أسرار الـكون وأن الفلاسفة ، رغم محاولاتهم ، لم يستطيعوا فهم هذا العالم أو توضيحه . فليس من الغريب إذن أن يعبد اليونان فى العصور الغابرة آلهة تمثل القوى الطبيعية أو ترمز إلى المثل الخلقية أو الفـكرية . إذ كانت فـكرة الألوهية ، فى رأيهم ، تعبر عن كل ما هو فوق إدراك البشر . فالإله عندهم لم يكن فحسب الـكائن

المطلق الكامل الخير ، بل كان أيضاً كائنا ضخما شريراً . لذا تعددت آلهة اليونان وأعظم هؤلاء الآلهة هم الذين كانوا يقيمون فى طبقات السماء العليا فى قلعة أبوابها وجدرانها من الأثير ؛ وأشهر آلهة الأولومپوس هم :

زيوس ، كبير الآلهة ، رب السموات والأرض ، إله الصواعق والأمطار ، إله البرق والرعد وغير ذلك من الظواهر الجوية .

پوسيدون ، إله البحار والزلازل والبراكين ، حامى الصيادين والملاحين .

آريس ، إله الحرب .

ابوللون ، إله الشمس والموسيقى .

هيفابستوس ، إله الحدادة والصناعة ، كان يصنع للآلهة أسلحتهم ودروعهم وحليهم .

هرميس ، رسول الآلهة ، ورسول زيوس بوجه خاص ، وكان إلاها للتجارة أيضاً .

هيرا ، زوجة زيوس وكبيرة الآلهة ، . . وكانت تشرف على حفلات الزواج وحالات الوضع .

ديميتر ، إلاهة الزراعة والحبوب .

ارتميس ، إلاهة القمر والصيد.

أثينا : إلاهة الحكمة والذكاء .

أفروديتا : إلاهة الجمال والحب .

هستيا : إلاهة الموقد ، ولما كان الموقد أهم أجزاء المنزل أصبحت هستيا إلاهة للمنزل أيضاً .

هذه أكبر آلهة اليونان وأجلها شأنا ، ولقد اعتاد بعض العلماء أن يذكروا إلى جانبهم عدداً آخر من الآلهة ، لهم تقريباً نفس المنزلة وهم : ديونوسوس ، إله الخمر ، ثيمس إلاهة العدالة ، اروس ، إله الحب ، إريس ، رسوله الآلهة ورسولة هيرا بوجه خاص؛ هيبا إلاهة الشباب ، ربات الرشاقة الثلاث ، ربات الشعر التسع ، ربات القدر الثلاث اللاتى كن يتحكمن فى مصير البشر ودورة الأفلاك وتنظيم الكون .

عبد اليونان هذه الآلهة وغيرها ، وكانوا يستشيرونهم فى كل كبيرة وصغيرة ويبذلون قصارى جهدهم لنيل رضاهم وذلك بتقديم الضحايا والقرابين وأداء الطقوس والشعائر الدينية وإقامة الأعياد وبناء المعابد . آمنو بهم أشد الإيمان فى القرون الأولى . ثم أخذ إيمانهم يضعف تدريجيا كلما ارتقى تفكيرهم واستنارت عقولهم . وسنرى فى الفصول التالية كيف تطور الأدب عندهم وكيف أن نظرة الأدباء لهؤلاء الآلهة تبدلت فبعد أن

كانوا يمجدونهم ويجلونهم كل الإجلال فى العصور الأولى ، بدءوا منذ القرن السادس قبل الميلاد ينتقدونهم ويهاجمونهم . فجاء انا كساجوراس ونادى بأن « العقل سيد كل شىء » فلا يجب احترام غيره ، وتبعه سقراط ، زعيم الفكر الفلسفى ، وحمل حملة شعواء على الآلهة المتعددين وأخذ يعلم الآثينين فكرة الإله الواحد فاعتبر خارجا على آلهة المدينة ، غير مؤمن بدينها وكانت هذه إحدى التهم التى أعدم من أجلها ولكن إعدامه لم يمنع المفكرين والأدباء من أن يتموا ما بدأه ؛ ففندوا هذه الأساطير واعتبروها روايات خيالية لا أساس لها من الصحة حتى جاء عصر الاسكندرية الذى ازدهرت فيه العلوم الطبيعية ، وعندئذ فقدت الأساطير القديمة جلالها وروعتها وفقدت الآلهة منزلتها المقدسة وأصبحت موضوعات للتهكم والسخرية ، ثم ظهرت المسيحية وقضت على العبادات المتعددة . ولكن مهما يكن من أمر فإن الدين اليونانى وما اشتمل عليه من أساطير وخرافات يعتبر أساسا لدراسة الأدب اليونانى ، لا يمكن لأى دارس أن يستذوقه شعراً أو نثراً إذا لم يلم بتفاصيل هذا الدين .

الفصل الأول

عصور الأدب اليونانى

يمكننا تقسيم تاريخ الأدب اليونانى إلى عـدة عصور لا نميل إلى تحديدها بسنوات معينة لأن التحديد الدقيق لا يمكن تطبيقه فى دراسة الأدب ، ولأن الأدب اليونانى بالذات امتاز بالتطور المنطقى المستمر فيكاد يكون الأدب الوحيد بين آداب أوروبا القديمة والحديثة الذى تطورت فنونه تطوراً طبيعيا يتناسب مع تطور المجتمع اليونانى وازدهار حضارته ، لذا يستحسن فى تقسيمنا لتاريخ هذا الأدب أن نهتم بتطور فروعه المختلفة وازدهار كل منها وتحليل الظروف الاجتماعية والسياسية التى ظهر فيها .

كانت الأناشيد والملاحم هى أول فنون الأدب اليونانى ، ظهرت فى فترة ما قبل التاريخ أو عصر الأبطال والأساطير ، وتبدأ هذه الفترة بنزوح القبائل الآريه إلى بلاد اليونان فى القرن الخامس عشرق . م وتنتهى فى منتصف القرن الثامن تقريباً . وأهم آثارها الأدبية التراتيل الدينية والملاحم . أما الأولى فلم تصلنا منها الإشذارات استطعنا أن نعرف منها أن هذه التراتيل كانت جزءاً من العبادات التى ظهرت فى تراقيا . وأشهر الشعراء

الذين نظموا هذه الأناشيد هم : أورفيوس[1] ولينوس وموسايوس ؛ كما ظهر فى كريت وديلوس وغيرها من جزر بحر إيجه منشدون تغنوا بمثل هذه الأهازيج الدينية ؛ ولـكن هؤلاء الشعراء ينتسبون جميعاً إلى عالم الأساطير لأنهم أبناء آلهة ملهمون ينطقون بوحى من ربات الشعر ، ولم يتبق لنا شىء من آثارهم . لذا تعتبر الملاحم أقدم القصائد التى وصلتنا من الأدب اليونانى. وإذا ما ذكرت الملاحم اليونانية تبادر مباشرة إلى الذهن اسم هوميروس وهسيودوس لأنهما أعظم شاعرين نظما فى هذا الفن أروع القصائد التى عرفها تاريخ الأدب.

نظم **هوميروس** الدرتين الخالدتين الإلياذه والأوديسا ، وتعطيان للقـــارىء صورة صادقة للمجتمع اليونانى فى عصر الأبطال أو عصر الاقطاع عند ما كان يحكم اليونان ملوك يدعون أنهم من سلالة الآلهة ، يمارسون الحـكم بناء على حق مقدس ، يتفوقون على باقى الشعب بقوتهم وبسالتهم ، بثرائهم وحكمتهم ؛ فـكان على رعاياهم أن يطيعوهم طاعة عمياء لا لأنهم من سلالة الآلهة فحسب بل لأنهم أقوى الناس وأصلحهم للحكم ، يمكن الاعتماد عليهم عند الشدة . ونحن نرى صورة لهؤلاء الملوك عنـد هوميروس فى وصفه لزيوس كبير الآلهـة الذى يمكنه أن يُلقى بغيره من

(١) تنسب إليه الديانة الأورفية التى انتشرت فى القرن السادس وخاصـة فى إيطاليا الجنوبية وصقلية وتقوم هذه الديانة على الإيمان الراسخ بالعدالة الإلهية والطهارة التى تحرر النفس من البدن .

الأرباب إلى الجحيم ويهلكهم بصواعقه لذا يخافونه ويتجنبون إثارته ، ونرى صورتهم أيضاً فى شخصية أخيليوس بطل الإلياذه الذى كان يفوق اليونان جميعاً ببسالته وعنفه ، وفى شخصية أودوسيوس ، بطل الأوديسا الذى امتاز بدهائه وحكمته . أما المجتمع الذى كان يحكمه هؤلاء الملوك ، فهو غير واضح المعالم ، لم تتميز فيه عناصر الشعب اليونانى ، فهوميروس لا يحدثنا عن الدوريين أو الأيونين ، ولا يكلمنا عن اسپرطه ولا عن أثينا على أنهما أكبر عواصم هذين الشعبين ولكن يروى لنا أخبار الجنس اليونانى بصورة عامة لا يهتم بشخصية الفرد وينكرها بل ينكر نفسه ويجعلنا ننساه وسط هذا العالم المملوء بالآلهة والأبطال الذين يصورون الماضى البعيد ويبعدون الشاعر عن حاضره ، فهو لا يهتم بما يحيط به ولا يصف ما يدور حوله بل يحلق فى عالم قديم غارق فى القدم حتى يبدو كأنه خيالى .

أما **هيسيودوس** فيختلف كل الاختلاف عن هوميروس مع أنه عاش بعده بوقت قصير لا يزيد عن قرن بل يقل ، حقاً لقد نهج منهاجه وحافظ على لغة الملحمة وشكلها ولكنه غيَّر فى موضوعها تغييراً شاملاً . فهو فى ملحمته « الأعمال والأيام » لا يصف لنا أعمال الآلهة والأبطال ولا يحدثنا عن المجتمع بصورة عامة ولا ينكر نفسه ، بل يظهرها لتعبر عن مشاعر الإنسان الذى يحزن ويفرح ، وبذلك أنزل الملحمة إلى الأرض بعد أن

حلق بها هوميروس فى السماء ، فنظم الشعر ليعلم النـاس فنون الزراعة ويعرفهم الواجبات التى فرضت عليهم فى المجتمع الذى يعيشون فيه بالفعل ، وسبب ذلك أن هوميروس تغنى بأشعاره فى قصور الأمراء ، فأراد أن يحدثهم عن أسلافهم من الآلهـة والأبطال ، وحاول أن يسرى عنهم برواياته ، ولـكن هيسيودوس كان يخاطب الفلاح الذى يزرع الأرض ويراقب فصول السنة ليعرف مواعيد الحرث والحصد وكان يتغنى بآلام الإنسانية ، ويصف حياة الناس الواقعية بما فيها من غم وغرم وما تحتويه من مسرات وأحزان ؛ وأخذ يتعرض للمشاكل العويصة وبدأ يكثر من الأسئلة عن أصل الإنسان ومصيره وعن سبب الـكفاح المضنى الذى تتطلبه الفضيلة ؛ وكان يعجب من استبداد الآلهة بالبشر ويتساءل فى ضيق وحيرة : ما هى العدالة؟ كيف جاء الشر والألم والمرض إلى الدنيا ؟ ويتضح لنا من ذلك أن هيسيودس يختلف عن هوميروس فى معالجة موضوع الملحمة . وعلى أى حال فهما اللذان وضعا لليونان أصول دينهم وعلماهم تفاصيله وسنرى ، فى الفصول التالية ، أن هيسيودوس نظم ملحمة أخرى « انساب الآلهة » كلمنا فيها ، مثل هوميروس ، عن نشأة الـكون وأصل آلهة اليونان والصلة التى تربطهم الواحد بالآخر .

بعـد هوميروس وهيسيودوس عاش شعراء مغمورون نظموا بعض

الملاحم الركيكة لا نكاد نعرف إلا أسماءهم وعناوين قصائدهم التى اندثرت ولم تقاوم صروف الدهر لرداءتها ، فاعرض اليونان عن الاستماع إليها وبدءوا يطالبون بنظم أشعار من نوع جديد ذات نغم جديد . وكان هذا التغيير فى الميول الأدبية نتيجة لتطور المجتمع من الناحية الاجتماعية والسياسية . فقد زالت الملكية المستبدة التى عاش فى كنفها هوميروس وهيسيودوس، وجاءت بعدها حكومات الأقلية التى سقطت بدورها بسبب الانقلابات التى قام بها الطغاة فى منتصف القرن السابع ، ثم زال حكم الطغاه أيضاً فى أواخر القرن السادس عندما ظهرت الحكومات الديمقراطية أو الارستقراطية الدستورية ؛ وتبع هذا التطور السياسى تغيير اجتماعى خطير ، فظهرت روح جديدة سادت القرنين السابع والسادس نتيجة لقوة شخصية الفرد وأهمية الدور الذى يقوم به وانتهت الأحلام الذهبية التى كانت تتصل بالماضى البعيد ولم تعد تشغل بال أحد ولم يعد الشعراء يتغنون بالأبطال والآلهة ، بل أصبحوا يهتمون بوصف الحياة اليومية وحاجياتها ويتعرضون لمشاكلها وهمومها ويصفون مشاعرهم الخاصة وعواطفهم الشخصية ، يتكلمون عن حبهم وصداقتهم وصلاتهم ؛ ويعبرون لأول مرة عن آمالهم ومخاوفهم وهكذا ظهرت الأشعار الغنائية . . فسافو تتحدث عن حبها وألكايوس يصف بؤسه وممنرموس يتكلم عن همومه وأناكريون يتغنى باللذات الوقتية التى تستهويه .

وكان من نتائج التغيير المستمر فى الحكومات أن شملت البلاد اضطرابات سياسية عديدة دفعت الناس إلى ترك المدن التى كانت مركزاً لهذه القلاقل ومغادرتها إلى أماكن أخرى يقيمون فيها ، وبذلك بدأ الاستعمار فى القرن السابع فهاجر اليونان مدنهم وذهبوا إلى جنوب إيطاليا وصقليه وأفريقيا وجزر بحر إيجه ؛ ولقد أدت هذه الحركة إلى انعاش الحياة الأدبيه وازدهارها فى المستعمرات الجديدة ، و إضعافها فى بلاد اليونان. فنرى الخمول يسود أثينا واسپرطه وطيبه ، تلك المدن التى تزعمت اليونان فيما بعد ، بينما تصبح المستعمرات مركزاً للنشاط الأدبى وخاصة المستعمرات الأيونيه على شواطىء آسيا الصغرى لأن اختلاط سكانها بالأمم الأجنبية وسع مداركهم وحرر عقولهم ، كما أنهم أفادوا من مجاورتهم لمصر والأمم الشرقية ، نقلوا عنها العلوم وتأثروا بحضارتها فأصبحت بلادهم مركزاً للثقافة اليونانية ، فازدهر فيها الشعر الغنائى بمختلف فروعه ، وكان أعظم الشعراء الذين نظموا فيه من آسيا الصغرى أو الجزر اليونانية — كالينوس ، تورتايوس ، ألكايوس ، سافو ، سيمونيديس ، أناكريون — ؛ وازدهرت فيها الفلسفة أيضاً ، فظهر الفلاسفة الأوائل الذين بدءوا يبحثون فى أصل الكون و يحاولون دراسة المشاكل التى أثارها الشعراء فى قصائدهم ، وأشهر هؤلاء الفلاسفة هم ثاليس ، أناكسمندريس ، أنكسمانيس ، هيراكليتوس - نشأ الثلاثة الأول فى مدينة ميليتوس ، وظهر الرابع فى مدينة أفسوس .

وكان **ثاليس** أول الحكماء السبعة ، جال أنحاء الشرق وزار مصر حيث تعلم أصول علم المساحة ، وهو أول من جعل الفلسفة علماً يعتمد على الاستقراء والبرهنة ، ونادى بأن الماء هو المادة الأولى والجوهر الأوحد الذى تتكون منه الأشياء ؛ ومع أن هذا الرأى كان معروفاً عند القدماء إلا أن ثاليس كان أول من دعمه بالبراهين .

وكان **انا كسمندريس** تلميذاً لثاليس ، لكنه اختلف مع أستاذه فى نظريته عن أصل العالم ؛ إذ رأى أن الماء لا يصح أن يكون المادة الأولى ، ونادى بأن هذه لا متناهية ولا محدودة فهى مزيج من الأضداد جميعاً ، كانت فى البدء مختلطة ثم انفصلت بحركة المادة وما زالت الحركة تفصل بعضها عن بعض وتجمع بعضها مع بعض حتى تألفت بالاجتماع والانفصال الأجسام الطبيعية على اختلافها .

أما **انا كسمانيس** فأخذ برأى ثاليس ووافقه على أن المادة الأولى شىء محسوس متجانس ، ولكن هذا الشىء هو الهواء لا الماء .

ونادى **هيراكليتوس** بأن النار هى المبدأ الأول ، ولكنه اشتهر بمذهبه القائل بأن الأشياء فى تغير مستمر إذ لولا التغير لما وجد شىء . فالاستقرار موت وعدم ، أما التغير فهو صراع بين الأضداد ليحل بعضها

محل بعض : فلولا المرض لما تمنينا الصحة ولولا العمل لما سعينا إلى الراحة ولولا الشر لما كان الخير . وكان هيرا كليتوس يعتد بنفسه و يحتقر العامة و يسخر من معتقداتهم الدينية وتقاليدهم السخيفة ، لذا هاجم هوميروس وهيسيودوس لأنهما علما الناس الخرافات والأكاذيب . وكان يشبه العامة بالكلاب والحمير ولا يعتد بآراء العلماء وكان يكتب بأسلوب صعب مبهم حتى لقب « بالغامض » ، وكانت أفكاره عميقة وعباراته موجزة ولقد قال عن نفسه « إنه لا يُفصِحُ عن الفكر ولا يخفيه ولكن يشير إليه » .

ومن الفلاسفة الذين ظهروا فى منتصف القرن السادس ق . م أيضاً **بوثاجوراس** [1] ، عاش فى جزيرة ساموس ، وطاف أنحاء الشرق ، وفى سن الأربعين ذهب إلى إيطاليا الجنوبية واشتهر بعلمه وحكمته و يروى أنه أول من أوجد كلمة « فلسفة » عندما قال « أنا لست حكيما فإن الحكمة من صفات الآلهة وما أنا إلا فيلسوف » أى محب للحكمة . وهو أول من قال بالتقمص أو التناسخ بعد الموت . وعندما كثر أتباعه ومريدوه أنشأ فرقة دينية علمية لعبت دوراً خطيراً فى الحياة الفكرية فى ذلك الوقت ، و يعتبر مذهب البوثاجورية أول محاولة للارتفاع عن المادة التى

---

(١) اشتهر عند العرب باسم فيثاغورس .

وقف عندها الفلاسفة السابقون وأول اتجاه لفهم العالم بقوانين واضحة وأعداد معينة ، ولقد اهتم هو وأتباعه بالرياضة والموسيقى والفلك والطب والهندسة .

بعد ذلك نجد أن المركز الأول للعلوم والآداب ينتقل إلى بلاد اليونان نفسها ، ونجد أن أثينا أصبحت منذ أوائل القرن الخامس ق . م حتى منتصف الرابع عاصمة الآداب والفنون فى العالم أجمع . لـكن كيف تمت لأثينا هذه الزعامة الأدبية مع أننا وصفناها بالخمول والركود فى الأعوام السابقة ؟ كيف صارت معلمة اليونان ، كما وصفها پركليس ، وأصبحت مركزاً للآداب والعلوم والفنون فى فترة لا تزيد عن نصف قرن ؟

سبق أن أشرنا إلى زوال الملـكية المستبدة ، وظهور حكومات الأقلية محلها ، ورأينا أن فساد هذه الحـكومات ساعد على قيام حكم الطغاة الذين تولوا مقاليد الأمور فى معظم بلاد اليونان طيلة القرن السادس ق . م . ولـكن حكومات الطغاة لم تكن أفضل من سابقتها ، بل كانت عوداً للملـكية المستبدة فى صورة دكتاتورية تعتمد على القوة الغاشمة . حقاً إن بعض هؤلاء الطغاة (مثل پسستراتوس Pisistratos فى أثينا) أدوا خدمات جليلة إلى الشعب اليونانى ، فاستطاعوا أن يؤسسوا المستعمرات ويكثروا من المشروعات العمرانية ويهتموا بالآداب ، لـكن حكمهم لم يدم طويلاً لأن

الشعب لم يرض عنهم ، لذلك أسرع الآثنيون قبل غيرهم من أهل الولايات اليونانية ، إلى طرد الطغاة و إقامة حكم جمهورى ديمقراطى بالمعنى الصحيح . وكان أساس هذا الحكم «الجمعية العمومية» التى يدخلها كل رجل بالغ دون قيد أو شرط ، وكانت هذه خير وسيلة للتربية القومية ، إذ جعلت الآثينى يساهم مساهمة فعالة فى إدارة شئون بلاده .

حدث ذلك فى أوائل القرن الخامس ق.م عندما أخذ ملوك الفرس ، سادة آسيا ، يولون وجوههم شطر أوروبا ليستعبدوها ، فبعثوا الرسل إلى الولايات اليونانية يطلبون إليها تقديم فروض الولاء والطاعة وهددوهم بالفناء إذا قاوموا ، فاستسلمت معظم الولايات إلا إرتريا (Eritrea) رفضت التسليم ، فاستولى عليها الفرس وحرقوها عن آخرها ليلقوا الذعر فى قلوب أهل أثينا التى كانت تجاورها ، ولكن تهديدهم ذهب أدراج الرياح .و بعد ذلك أرسل دارا آلاف الجنود ومئات السفن وأمر قائد الحملة بأن يهلك اليونان ويقضى على من ينجو منهم ويعود بهم أسرى وإلا أطاح الملك برأسه . وفى سبتمبر سنة ٤٩٠ ق . م التحم الفرس والآثنيون بالقرب من ماراثون ، إحدى قرى أتيكا ، وكانت هذه أولى المعارك الحاسمة بين الفريقين .

كان النظام الديمقراطى الذى حققه الآثنيون والحرية التى صحبته من

شأنهما ، كما يقول هيرودوت ، أن يخلقا مواطناً مكافحاً من الطراز الأول يؤمن بالقتال حتى النصر أو حتى الموت ، وهذا ما فعله الآثنيون فى معركة ماراثون ؛ لقد استبسلوا استبسال الأبطال وألحقوا ، مع قلة عددهم ، خسائر فادحة بجيوش الفرس الجرارة ، وأصبحوا ، كما قال أفلاطون ، أساتذة اليونان جميعاً ، علموهم كيف يقاتلون البرابرة ويذودون عن حرية الوطن . ولما كنا لا نستطيع الإطالة فى الكلام عن هذه الموقعة وما أكسبته للآثنيين من شهرة خالدة ، فإنا نكتفى بالاعتراف بأن الحرب الفارسية كانت فصلاً من أروع فصول التاريخ الآثينى . لقد أفاضت انتصارات أثينا على خيال كتابها فيضاً يفوق كل وصف ، وخلقت فيهم عاطفة قوية نحو أثينا ، واعتقاداً راسخاً بأن لهذه المدينة رسالة ، فتنافس أهلها فى بذل أقصى جهودهم ليرفعوا من شأنها ويزيدوا من جمالها ... تغنَّى بها الشعراء وامتدحها الخطباء ومجدها المؤرخون .

وعندما أصبحت أثينا مركزاً لكل شىء جميل ، لم يعد للمستعمرات أى ذكر ، واختفى منها النشاط الفكرى والعلمى ، ودليل ذلك أن أشهر فلاسفة هذه الفترة — **سقراط وأفلاطون** — كانا أثينيين **وأنا كساجوراس** قضى بها ثلاثين عاماً فى نشاط مستمر ، أما الشعر فأصبح أداة تعبير رائعة فى يد زعماء المسرح — **إسخولوس ، سوفوكليس ، يوريبيدس ،**

اريستوفانيس — وكلهم آثينيون ، وصلوا بالمأساة والملهاة إلى أقصى درجات الكمال حتى أصبحت وما زالت مسرحياتهم النموذج الأول للأدب التمثيلى فى العالم ؛ والتاريخ أيضاً أصبح موضوعاً مهماً بفضل **هيرودوت الهليكارناسى** الذى عاش فى أثينا وتعلم فيها وتأثر بثقافتها وأدبها ، ثم أصبح التاريخ علماً دقيقاً بفضل **ثوكوديديس** الآثينى ؛ ووجدت الخطابة فى **ليسياس** خطيباً مفوهاً . ولا يمكننا بهذا الصدد أن ننسى **بركليس** ، فمع أنه لم يكن أديباً فإنه كان صاحب الفضل الأول فى تشجيع الآداب . لقد كان حاكماً ممتازاً تزعم أثينا عندما كانت تحكم اليونان جميعاً ، وغرس فيها حب الفنون والآداب عندما كانت تنتج للعالم أروع آثارها الأدبية والفنية ، وعندما كانت تعلم الناس معنى الديمقراطية الصحيحة بفضل دستوره المثالى ، فاستحق لذلك أن يسمى « إله أثينا » كما لقبه پلوتارخوس فيما بعد . لقد كان پركليس بالفعل نموذجاً للحاكم الذى يعمل على انتعاش الدولة فى جميع الميادين فلما مات فقدت أثينا رأسها المفكر وحاكمها الحقيقى وأصبحت فريسة للأحزاب وزعماء الرعاع المهرجين حتى انهارت وهزمتها اسپرطة عام ٤٠٤ ق . م . فى موقعة إيجوس پوتاموس ، ومازالت أثينا فى تدهور وانحلال حتى قضى على سيادتها فيليپ ملك مقدونيا فى موقعة خايرونيا عام ٣٣٨ ق . م . وتبع ذلك أن

فقدت مكانتها الأدبية وتخلت عن منزلتها السامية ، وكان ذلك آخر عهد لازدهار الآداب والفنون فى بلاد اليونان لأن اسپرطة التى آلت إليها الزعامة بعد أثينا كانت دولة عسكرية ، اهتمت بشئونها الحربية وأغفلت الآداب والعلوم . ولما تغلبت طيبة على اسپرطة وانتزعت منها السيادة ، كانت حالتها الاقتصادية والسياسية لا تساعد على انتعاش الحياة الفكرية ، يضاف إلى ذلك أن الخلاف الذى دب بين الولايات المختلفة والفوضى التى سادتها عجلت بالقضاء عليها جميعاً ، وشجعت فيليپ ، ملك مقدونيا ، على التدخل فى شئونها والقضاء على استقلالها ، وتبع ذلك خضوع اليونان لمقدونيا على يد الإسكندر الأكبر ؛ وبذا يبدأ عصر الانحلال والتدهور فى الأدب اليونانى .

ولكن قبل الكلام عن هذا العصر وخصائصه الأدبية ، يجدر بنا أن نشير إلى أن أثينا ، بالرغم من أفول نجمها فى الميدان السياسى ، بقيت مركزاً لبعض أوجه النشاط الفكرى ، انتعشت فيها الفلسفة فى مدرسة **أرسطو** (اللوكيون Luceon) حيث كان يعلم تلاميذه فروع العلم المتعددة ، وفى حديقة أبيقور حيث كان يتردد عليه أتباعه ومريدوه ، وكذلك بلغت الخطابة أقصى درجات الكمال على يد **ديموستنيس** أشهر خطباء العالم ،وظهرت الملهاة فى ثوب جديد يختلف كل الإختلاف عن الملهاة القديمة فى موضوعها وهدفها . وكان **مناندروس** أشهر شعرائها ، ونحن

لسنا فى حاجة إلى القول بأن مؤلفات أرسطو الخالدة ، وخطب ديموستنيس الرائعة ومسرحيات منناندروس فى الملهاة الحديثة كانت امتداداً للادب الأثينى الممتاز فهى آخر مظاهر إزدهاره ، ومع أنها تدخل فى النطاق الزمنى لعصر الانحلال إلا أنها لا تتصف مطلقاً بما إتصف به أدب هذا العصر من نقائص وعيوب .

إن أهم ما يسترعى الانتباه فى أدب هذا العصر أمران : خلوه من الوطنية المتأججه التى أنطقت الأدباء فيما مضى بأنبل القصائد وأوحت إليهم بأروع المؤلفات ثم إعراضه إعراضاً تاماً عن السياسة وعدم إشتغال الأدباء بها ، ذلك لأن الوطنية وما يتبعيها من نشاط سياسى لا تنتعش إلا فى نفوس حرة تعيش فى جو ملىء بالحرية وهذا مالم يكن موجوداً فى الجزء الأكبر من العالم الذى وزعه خلفاء الاسكندر فيما بينهم ، وأصبح مملوءاً بأتباع لا بمواطنين يطيعون الحكام طاعة عمياء ، لا يهتمون بالحالة السياسة لأنهم غرباء لا تربطهم بأوطانهم الجديدة أية رابطة قومية ، وكان الأدباء مثلهم يفخرون بإقامتهم بالقرب من الملوك ويتسابقون فى الذهاب إلى قصورهم ليتملقوهم ، فامتـــلأت أشعارهم بتملق السلطان الذى أصبح موضوعاً رئيسياً لـكثير من القصائد ، وهكذا أصبح الأدباء فى عزلة عن الشعب بعيدين عن المعابد والآثار التى كانت تحرك مشاعر أسلافهم ، أما الشعب

فقد انكب على عمله اليومى وانصرف إلى الاهتمام بحياته الخاصة وسعى وراء منافعه التافهة . لهذه الأسباب كلها اتصف هذ العصر بالعقم والكساد ورمى النقاد أدباءه بالجمود وضعف التفكير لأنهم لم يبتكروا جديداً بل عادوا إلى تراث أسلافهم ودرسوه وبحثوا فيه وعلقوا عليه ، إهتموا بالدقة فى التعبير ، و إختيار الألفاظ النادرة وتفننوا فى التباهى بمعلوماتهم وحشوها فى أشعارهم دون مبرر ، ومع ذلك ففى إمكاننا أن نذكر لهذا العصر بعض المآثر . فادباؤه وعلماؤه قد أدوا للأدب اليونانى القديم خدمات جليلة كان يستحيل علينا ، نحن المحدثين ، فهمه بدونها ، فمنهم من ابتدع فن نقد النصوص ومقارنة المخطوطات وتحقيق الأصول القديمة (زنودوتوس ، ريانوس ، أريستارخوس) والتعليق عليها (تعليقات ديدوموس على خطب ديموستنيس) ومنهم من ابتكر فناً جديداً من فنون الشعر لم يعرفه شعراء العصور السالفة (الشعر الرعوى الذى ابتكره ثيوكريتوس). كما أن أدباء هذا العصر أثروا على الأدب الرومانى فى عصوره الأولى ، إذ قلدهم كاتللس ، وأوفيدوس وفرجيليوس ونقلوا عنهم الكثير ، الأمر الذى جعل النقاد يقولون إنه لولا إتصال روما وتأثرها بالمدارس اليونانية فى هذا العصر لما تركت شيئاً يسمى أدباً .

لقد بدأ عصر الانحلال هذا بخضوع اليونان للحكم المقدونى وانتقلت

فيه عاصمة الآداب من أثينا إلى الاسكندرية التى كان قد بناها الاسكندر عام ٣٣٢ ق.م فازدهرت بسرعة فائقة وأصبحت لمدة قرنين أهم مراكز الأدب اليونانى مما جعل كثيراً من النقاد يسمون هذا العصر بعصر الاسكندرية، لكن هذا لا يعنى ان الأدب السكندرى لم يزدهر إلا فى هذه المدينة فقط بل انتعش فى مدن ومناطق أخرى أهمها بلاط مقدونيا وسوريا وپرجام وسواحل آسيا الصغرى وجزيرة كوس و رودس واليونان الكبرى (إيطاليا الجنوبية وصقلية) بل وأثينا نفسها احتفظت ، كما رأينا، ببعض أهميتها الأدبية ومع ذلك فالعاصمة المصرية هى التى إحتلت المكانة الأولى إذ لم يوجد مكان غيرها لقيت فيه الآداب والفنون تشجيعاً سريعاً مستمراً مثلما لقيت فى الاسكندرية أثناء حكم البطالمة الأوائل (٣٢٣ — ١٨٠ ق . م) ؛ وأشهر الشعراء الذين ظهروا فى عهدهم هم كالياخوس وثيوكرتيوس وأپوللونيوس الرودسى . ولكن بعد وفاة بطليموس الرابع تولى الحكم ملوك ضعاف ، لم يستطيعوا الاستمرار فى سياسة أسلافهم العلمية ولم يحافظوا على منزله عاصمتهم الأدبية ، فتدهورت الثقافة اليونانية فى مصر ، بل وفى غيرها من الولايات اليونانية ولم يظهر فى أواخر القرن الثاني والأول قبل الميلاد إلا عدد قليل من الشعراء ليس من بينهم شاعر واحد من الدرجة الأولى ، نذكر منهم نيكاندروس الذى نظم فى پرجامم قصائد تعليمية عن « أضداد

السموم» و «الفلاحة» ، **وموسخوس** الصقلى و **بيون** السمرنى اللذين إشتهرا بأشعارهما الرعوية وكانت تقليداً تاماً لاشعار أستاذهما ثيوكريتوس **وانتباتروس** الصيدى **وملياجروس** الجادارى اللذين خلدا إسمهما بكثير من الابجراماتا .
ولعل أشهر الشخصيات التى لمعت فى القرن الثاني ق . م المؤرخ پولوبيوس الذى كتب قصة روما وكيف سادت العالم فى مجلد ضخم كان يتكون من أربعين جزءاً لم يصلنا منها إلا خمسة تدل على أنه كان مؤرخا ممتازاً دقيقاً يتقصى معرفة الحقائق مهما كلفه ذلك من عناء .

بعد ذلك ينتهى عصر الاسكندرية بالمعنى الصحيح إذ منذ نهاية القرن الأول قبل الميلاد سادت روما العالم وبذا يبدأ العصر اليونانى الروماني الذى يستمر حتى القرن السادس المسيحى .

لعل هذا العرض السريع يعطى للقارئ فكرة عن تطور الأدب اليونانى فى عصوره المختلفة وأهم أدبائه والفنون المتعددة التى نبغوا فيها، ولعله أيضاً يبين للقارئ أن هذا الأدب يعتبر أغنى الآداب الأوربية القديمة والحديثة، إمتاز بتعدد أدبائه المشهورين وخصوبة إنتاجهم فى الفروع المتعددة: الملحمة والشعر التعليمى والشعر الغنائى والشعر التمثيلى والتاريخ والخطابة

والفلسفة . ولما كان هذا الكتاب لا يمكن أن يتسع لدراسة هذا التراث الضخم دراسة شاملة لذلك خصصناه للكلام عن أهم فنون الأدب اليونانى منذ نشأته حتى نهاية العصر الذهبى ، وعن أشهر الأدباء الذين عاشوا فى تلك الفترة . ونرجو بذلك أن نكون قد وفقنا لتحقيق بعض الفائدة للقارئ الكريم .

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

الفصل الثانى

شعر الملاحم

— ١ —

ليس من الممكن أن نعرف على وجه التحديد متى بدأ العصر الأول من عصور الأدب اليونانى ومتى انتهى ، ولـكن من المقطوع به أن القبائل الآريه ، عندما نزحت من آسيا إلى بلاد اليونان ، كانت لها طقوس دينية من بينها تقديم الضحايا للآلهة والتغنى بهم وتمجيدهم فى ترانيم قصيرة يذكرون فيها صفات الإله الجليلة ، ويتوسلون به أن ينعم عليهم ببركاته ويشملهم برعايته ؛ لم يصل إلينا من هذه الأناشيد نموذج واحد نعرف منه خصائصها ، لـكن نقاد عصر الإسكندرية حدثونا عن أشعار من هذا النوع يحتمل أنها وجدت فى عصرهم ثم فقدت ، وتروى لنا بعض الروايات أن كل الشعراء الذين نظموا هذه الأناشيد الدينية كانوا من سلالة الآلهة أو كانوا من الـكهنة الذين يقيمون الشعائر الدينية حول مذابح الأرباب والربات ، وكان هؤلاء الـكهنة يتوارثون وظيفتهم التى اقتصرت على عدة أسر ينسب إليها نظم هذه الترانيم .

وقد ظهرت أقدم هذه الأسر فى تراقيا وسميت باسم أشهر أفرادها يومولپوس (أى الذى يجيد الإنشاد) وقد ذاع صيته فى إنشاد هذه الترانيم بمصاحبة الناى أو المزمار ، و بعد ذلك ارتبطت سلالة هذا المنشد بعبادة الإلاهة ديميتر بمدينة اليوسيس ، ثم انتقلت هذه الترانيم من تراقيا مع القبائل التى اتجهت جنوبا فى بلاد اليونان ووصلت إلى ثساليا وازدهرت بالقرب منها فى اقليم پيرّى (Pierie) ، ويقال إن هذه الأناشيد فى تلك المنطقة كانت جزءاً من الشعائر الدينية التى كانت تقام لعبادة ربات الشعر .

ولقد وجدت مثل هذه التراتيل فى جزيرة كريت وارتبطت بعبادة الإله اپوللون ، ثم انتقلت من هذه الجزيرة إلى دلفى وإلى كثير من الأماكن فى البيلپونيس ، ويقال إن المنشد خروسوثيمس (Chrusothemis) ، الذى اشتهر فى دلفى ونظم نشيد اپوللون المعروف ، كان من كريت أيضاً ؛ كذلك ظهرت فى فروجيا مجموعة من المنشدين ارتبطوا بعبادة كوبيلا — أم الآلهة — أشهرهم مارسو آس وأولومپوس .

ونلاحظ أن أغلب هذه الأسماء ليست يونانية فى تركيبها ولا فى دلالتها ، وإنما تمت إلى فترة سابقة لتلك التى تكونت فيها أسماء الأعلام اليونانية ، وهذا دليل على أن هؤلاء المنشدين ينتسبون إلى أسرة آرية

قديمة كل القدم ، ظهرت فى آسيا قبل أن تستقر القبائل الآرية فى بلاد اليونان ، فإذا علمنا أن القبائل الآرية بدأت غزوها لبلاد اليونان حوالى عام ١٥٠٠ ق م . وأنها بدأت تستقر هناك حوالى ١١٠٠ ق . م ، حق لنا القول بأن هذه الترانيم انتشرت خلال هذه القرون الأربعة .

فى ذلك الوقت هاجرت بعض القبائل الأيونية إلى سواحل آسيا الصغرى وأنشأت بعض المدن التى أصبحت فيما بعد المركز الأول لظهور الشعر اليونانى ، إذ ازدهرت الحياة فيها لاتصال سكانها ثقافيا وتجاريا بدول الشرق الأوسط ، فأفادوا من حضارتها ومن الحضارة المصرية بصورة خاصة ، ونقلوا عنها الشىء الكثير ، ولكنهم احتفظوا بقوميتهم وحرصوا على بقاء الصلة قوية بينهم و بين الوطن الذى جاءوا منه ، وعملوا على بعث مجده القديم ، فتغنوا بآلهته ومجدوا أبطاله فى ترانيمهم ، وكانت هذه الترانيم نواة لشعر الملاحم الذى وجد فى المدن الأيونية أول مركز لنموه وأصلح بيئة أدبية لتطوره وازدهاره ، ولقد مرت هذه الأناشيد بثلاث مراحل :

وترجع أولى هذه المراحل إلى غزو القبائل الآريه لبلاد اليونان وهجرة بعضها إلى آسيا الصغرى ، وفى ذلك العصر نشبت حروب كثيرة وحدثت مخاطرات عظيمة قام بها أبطال اليونان (حرب طرواده ، رحلة السفينة

أرجو ، أعمال هيراكليس ، مغامرات ثسيوس)، وتغنى بهـا المنشدون الذين عاصروها .

ثم كانت المرحلة الثانية وهى عصر الشعراء المتجولين الذين كانوا يعتمدون على الذاكرة فى حفظ الأناشيد القديمة ، فكانوا يحفظونها و يرددونها بعد أن يضيفوا إليها ما تجود به قرائحهم ، ويقال إن هؤلاء الشعراء عاشـوا فيما بين القرنين الحادى عشر والعاشر ق . م .

وجاء من بعدهم شعراء آخرون يعرفون بالمنشدين ، وينسب إليهم تنظيم الأناشيد السابقة والتوفيق بين رواياتها والإضافة إليها وصياغتها فى صورة شاعرية و بلغة أدبية ابتكروها لهذا الغرض تمتاز بالألفاظ الجزلة والعبارات الرصينة ، وكانت هذه بداية لنظم الملاحم اليونانية الأولى التى سبقت ظهور هوميروس .

فليس من المعقول مطلقاً أن يبدأ الأدب اليونانى بالقصائد الهومرية دون المراحل البدائية التى ذكرناها ؛ فلغة هوميروس الرصينة وأسلوبه الذى يمتاز بالمرونة و براعته فى استعمال الوزن السداسى واستخدامه لبعض الصفات التى فرضها على الأدباء من بعده ، كل ذلك يحملنا على الاعتقاد بأن الأشعار الهومرية لم تكن إلا صورة نهائية لما بلغته الملاحم اليونانية من إتقان ويؤيد ذلك الرأى رواية المؤرخ هيرودوت الذى عاش

فى منتصف القرن الخامس ق . م وقال إن هوميروس نظم أشعاره قبل ذلك بأربعة قرون أى فى منتصف القرن التاسع ق . م ، وليس هناك ما يبرر رفض هذا التاريخ لأنه يتفق مع التطور المنطق لشعر الملاحم أما التاريخ الذى أخذه علماء القرن المـــاضى عن المؤرخ القديم هيلاَّنـكوس (Hellanicos) (أعنى منتصف القرن الثانى عشر عندما وقعت حرب طرواده) فإنه يخالف هذا التطور لأن شعر الملاحم كان فى ذلك الوقت فى المرحلة الأولى ، كما رأينا ؛ يضاف إلى ذلك أن الأشعار الهومرية تصف لنا وقائع حرب طروادة وأعمال أبطالها على أنها أساطير تمت إلى عصور مضت قبل وجود هوميروس بوقت طويل .

— ٢ —

هوميروس

إن تاريخ ميلاد هوميروس ليس وحده موضع خلاف بل إن نفس وجوده وموطنه وأشعاره كلها كانت وما زالت موضع جدل مستمر . لقد زعم فريق من النقاد أن هوميروس لم يوجد وأنه شخص خرافى ، وقال البعض أنه وجد وكان اسمه الحقيقى مليسيجينيس (Melesigenes) ولقب بهوميروس لأنه كان أعمى أو لأنه وقع أسيراً فى إحدى الحروب أو لأنه اهتم بتنظيم وتنسيق أشعار من سبقوه[1] .

واختلف النقاد أيضاً فيما يتعلق بمسقط رأسه ، فقالوا إنه من كولوفون (Colophon) وقالوا إنه من خيو أو من سمورنا (Smurne) أو من كوما (Cume) ، وقال پروكلوس (Proclos) إن جميع المدن اليونانية أدعت أنه منها ، ولـكن لما كانت هذه الأماكن كلها أيونية تقع على ساحل آسيا الصغرى ، لذا يحق لنا القول بأنه أيونىّ الأصل ، عاش فى منتصف القرن التاسع وقضى حياته كغيره من الشعراء المتجولين فى التنقل من قصر إلى آخر ، ومن مدينة إلى أخرى ، ينشد أشعاره

---

(١) يلاحظ أن كلمة هوميروس لها هذه المعاني فى اللهجات اليونانية المختلفة .

فى بلاط الملوك والأمراء ، ويبدو لنا من ملحمتيه الإلياذة والأوديسا أنه زار بلاداً عديدة وعرف عنها الشىء الكثير ، ومن المحتمل أنه عمَّر طويلا كما تدل على ذلك ضخامة إنتاجه الأدبى . ولكننا لا نعرف أين مات ، ولو أن إحدى الروايات تقول إنه مات منتحراً فى مدينة إيوس التى ولدت فيها أمـــه .

ولقد أثارت الإلياذة والأوديسا كثيراً من المناقشات وكان نقاد الإسكندرية (اريستارخوس ، زنودوتوس) أول من ارتابوا فى وحدتيهما ، واستبعدوا منهما كثيراً من المقطوعات على أنها ليست من نظم هوميروس ، ثم تعددت من بعدهم الآراء وتفرعت حتى أدت إلى ما هو معروف « بالمشكلة الهومرية » .

بدأت هذه المشكلة منذ القرن السادس عشر الميلادى عندما أعلن العلامة سكاليجر (Scaliger) أن الإلياذة ليست من نظم شاعر واحد ، وتبعه فى الرأى علماء القرن السابع عشر والثامن عشر (أو بيناك Aubignac وفولتير ...) ولكن نظريتهم لم تلق تأييداً قوياً لأنها لم تقم على براهين علمية ، ثم بُعثت المشكلة الهومرية عندما درسها بعناية فائقة الناقد الألمانى فردريك ڤولف (F. Wolf) الذى نشر نتيجة أبحاثه عن هوميروس عام ١٧٩٥ . ويتلخص رأيه فى أن هوميروس لم ينظم

الإلياذة كلها ولـكن نظم عدداً كبيراً من أناشيدها ، أما باقى الأناشيد فقد نظمها شعراء مقلدون ؛ واعتمد الناقد الألمانى فى تدعيم رأيه على أن الـكتابة لم تكن معروفة وأن الذاكرة لا يمكن أن تنتج إنتاجاً ضخماً مثل الإلياذة . ولقد سادت نظريته وقتاً طويلا ثم وجدت معارضة شديدة ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر عندما أثبت النقاد الفرنسيون (إرنست هاڤت E. Havette) وچول جيرار (J. Girard)أن الإلياذة من نظم شاعر واحد ، ولقد وجدت هذه النظرية رواجاً شديداً وتحمس لها علماء عديدون فى مختلف الدول ، أشهرهم الناقد البلچيكى المعاصر البرت سڤيرنس (A. Severyns) الذى عـكف على دراسة المشكلة الهومرية ما يقرب من نصف قرن تقريباً وتناولها بالبحث العلمى الدقيق منذ ظهورها فى عصر الإسكندرية حتى اليوم ، وكتب فيها مؤلفات عديدة احتوت على الأدلة اللغوية والتاريخية التى تثبت أن الإلياذة من نظم هوميروس وحـــده وأن ما بها من تناقض فى بعض الأجزاء يرجع إلى الإضافات أو التعديلات التى أدخلت عليها من بعده .

واتخذ النقاد من الأوديسا نفس الموقف الذى اتخذوه من الإلياذة ، غير أنهم لم يجدوا بين أناشيدها التنافر الذى وجدوه فى الإلياذة ، لذلك لم يكتبوا عن وحدتها بحوثاً كثيرة مثل التى كـتبوها عن الإليـاذة . ومع ذلك فقد أثارت الأوديسا مشكلة أخرى فزعم النقاد أنها ليست من نظم

شاعر الإلياذة سواء أكان هوميروس أم غـيره ، واعتمدوا فى تدعيم نظريتهم على الفروق اللغوية والتاريخية والجغرافية فى الملحمتين ، إذ لاحظوا أن لغة الإلياذة أقدم وأنها تختلف عن لغة الأوديسا فى نهايات الإعراب وفى بعض المفردات ، وأن آلهة الإلياذة أكثر جلالا وروعة وأن المعلومات الجغرافية أقل دقة . لـكن هذه المفارقات لا تنهض دليلا قويا على صحة رأيهم لأننا نجد مثلها فى أعمال الأدباء المخضرمين بوجه عام .

هذه إشارة عابرة لبعض الآراء التى تواجه الباحث عنـــد دراسته لهوميروس ، قصدنا بالإشارة إليها إعطاء القارىء فـكرة عن تعددها وتشعبها . لـكن أقربها إلى الصواب ذلك الرأى الذى نادى به علماء القرن العشرين ولم تقم فى وجهه معارضة حتى اليوم . وجدير بالملاحظة أن هذا الرأى يقوم على عدة حقائق سبق أن قال بها اليونان القدماء . . فأصحابه يؤيدون رواية هيردوت القـــائلة بأن هوميروس عاش بالفعل فى منتصف القرن التاسع ق . م ، وينسبون إليه الإلياذة والأوديسا كما فعل ديونوسيوس الهليكارناسى الذى قال بأن هوميروس نظم الإلياذة فى ربيع الشباب ونظم الأوديسا فى آخر أيامه (ولعل فى ذلك تفسيراً للفروق المختلفة بين الملحمتين) ، وأصحاب هذا الرأى يوافقون أرسطو على إعجابه بوحدة الموضوع فى الملحمتين ، وعلى أنهما من نظم هوميروس .

— ٣ —

الإلياذة

يجـدر بنا قبل دراسة الإلياذة أن نذكر سبب حرب طرواده التى تصف لنا الملحمة حوادث الأسابيع الأخيرة منها .

بينما كان باريس بن پرياموس ملك طروادة يسير فى الجبـل قابلته أفروديتا وأثينا وهيرا وطلبن إليه أن يحكم على جمالهن ؛ فحـكم بأن افروديتا أشدهن فتنة وأعظمهن جمالا لأنها وعدته بالزواج من أروع امرأة ، من هلينا ، زوجة منيلاوس ، شقيق اجامنون ، أما أثينا وهيرا فقد أساءهما حكمه وقررا الانتقام من مدنية طروادة بالانضمام إلى اليونان فى حربهم ضدها . وأوحت افروديتا إلى باريس بالذهاب إلى بلاد اليونان لأخـذ هلينا التى أغْرتها الإلاهه بالرحيل معه ؛ عندئذ يغضب ملوك اليونان ويصممون على غسل هذه الإهانة ، فيجمعون أمرهم ويعدون جيشاً ويبحرون تحت قيادة اجامنون العظيم ، ليستردوا هلينا ويدمروا طروادة . وتستمر الحرب بين الفريقين عشرة أعوام يصف لنا منها الشاعر حوادث الشهر الأخير .

وتتكون الإلياذة من خمسة عشر ألفاً وخمسمائة وسبعة وثلاثين بيتاً قسمها علماء الإسكندرية إلى أربع وعشرين أنشودة نلخصها فيما يلى :

يبدأ الشاعر ملحمته بالدعاء لربات الشعر والتوسل بهن ليلهمنه الإنشاد. ثم يحدثنا عن إغتصاب الآخيين لابنة كاهن أپوللون وكيف أن أجاممنون رفض ردها لأبيها ، فينتقم الإله لكاهنه من اليونان بأن يرسل عليهم وباء يجتاح معسكرهم . عندئذ يسأل أخيليوس العراف كالخاس عن السبب فى غضب أپوللون، فيذكره له ؛ ويثور أجاممنون عند سماعه ولكنه يوافق على رد الفتاه لأبيها بشرط أن يأخذ غيرها من محظيات القواد الآخرين ، فيغضب أخيليوس لهذه الانانية ويهاجم أجاممنون ويهم بانتزاع سيفه لكن أثينا وهيرا تمنعانه وتهدئان خاطره ، ويصر أجاممنون على أخذ محظية أخيليوس نفسه ، فينسحب هـذا ويقسم أنه لن يشترك فى القتال ضد الطروادیين ، ويجلس فى خيمته حزيناً كئيبا وينادى أمه ثيتس فتأتيه على عجل وتسمع شكواه ، ثم تذهب إلى زيوس وتخبره بما حدث ، فيؤكد لها أن اليونان سوف يهزمون تكفيراً عن خطئهم فى حق إبنها . وتغضب هيراً لذلك لأنها تكره الطروادیين ، لكن كبير الآلهه لا يأبه بها .

وفى الأنشودة الثانية يرسل زيوس إلى أجاممنون حلما كاذباً يصور له أن إنتصار اليونان يتوقف على إشعال نار الحرب فوراً ، فيستيقظ القائد الأعلى ليحقق رؤياه ، ولكنه يود ، قبل بدء المعركة ، أن يتأكد من رغبة جنوده فى خوضها ، فيتظاهر بأنه يفكر فى إنهاء القتال والعودة إلى الوطن ،

فإذا بالجند يطيرون فرحاً ويستعدون للرحيل ، لـكن قواد الحملة الذين كانو يعرفون حقيقة الأمر يحاولون منعهم وينجح أودوسيوس فى إقناعهم بالبقاء والاستمرار فى الحرب .

ومع ذلك فالقتال لا يبدأ فى الأنشودتين الثالثة والرابعة ، لـكننا نرى پاريس فى الأنشودة الثالثة يتحدى اليونان ونرى غريمه مينلاوس يقبل تحدية ، ويوافق الفريقان على وضع إتفاق يتعهدان بتنفيذه بعد المبارزة ، وهو يقضى باسترداد هلينا وأخذ تعويض إذا انتصر مينلاوس أو عودة اليونان إلى بلادهم فوراً إذا إنتصر پاريس . وبينما تدور المفاوضات بين الفريقين بخصوص هذه الإتفاقية ، تصعد هلينا فى الإنشودة الرابعة فوق أسوار طرواده حيث يستقبلها الملك پرياموس وشيوخ المدينة ثم تأخذ هلينا فى التحدث اليهم عن زعماء اليونان وعندما يوافق الفريقان على شروط الاتفاق تبدأ المبارزة ويكاد أن يفتك مينلاوس بغريمه لولا أن أفروديتا تنقذه دون أن يراه أحد وتنقله إلى قصره .

وهنا ينقلنا الشاعر فجأة إلى مجلس الآلهة حيث نرى هيرا ثائرة تصر على سحق الطرواديين فيستجيب زيوس لطلبها ويعمل على إشعال نار الحرب التى يصفها هوميروس فى الجزء الأخير من الأنشـــودة الرابعة الأنشودتين الخامسة والسادسة وتنتهى هذه الحرب فى الأنشودة السابعة بانتصار

اليونان وعقد هدنة بين الفريقين . ويطلق النقاد إسم ديوميديس على الأناشيد الثلاثة الأخيرة مع أن أعماله الباسلة تنتهى فى الأنشودة الخامسة .

ويبدأ القتال ثانية فى الأنشودة الثامنة بعد أن يمنع زيوس كل الآلهة من التدخل فى سير المعركة فترجح كفة الطرواديين ويضطر اليونان إلى الانسحاب داخل معسكراتهم ، فيعقد أجامنون فى الأنشودة التاسعة مجلساً من رؤساء الحملة ويطلب إليهم الاستعداد للرحيل . لـكنهم لا يوافقون ويقررون إرسال مندوبين إلى خيمة أخيليوس لاسترضائه فيذهب إليه أودوسيوس وأياس وفوينكس ويعبرون عن أسف أجامنون وندمه على ما فعل ويسألون أخيليوس الصفح والاشتراك فى القتال ، ولـكنه لا يقبل اعتذارهم ويبقى فى خيمته .

ثم يقص علينا الشاعر فى الاناشيد الستة التالية (١٠ — ١٥) أنباء المعارك العنيفة ويصف لنا كيف جرح أجامنون فى إحداها وكيف رجحت كفة الطرواديين . ويحاول باتروكلوس ، صديق أخيليوس ، إقناعه بضرورة الانضمام إلى اليونان ، لـكنه يصر على الامتناع ويكتفى بأن يسمح له بالاشتراك فى المعركة (أنشودة ١٦) فيأخذ باتروكلوس أسلحة آخيليوس ويتوجه إلى ساحة القتال ويطارد الطرواديين ويقتل منهم عدداً كبيراً ويحرز نصراً مبيناً ثم يلقى حتفه آخر الأمر على يد هيكتور .

ويخصص الشاعر الأناشيد الأخيرة (١٧ — ٢٤) للتغنى بأعمال

بطله المفضل ، لذا يسميها النقاد باسمه ؛ فعندما يعلم أخيليوس بموت صديقه تثور ثائرته و يحزن أشد الحزن ، فيندفع نحو الأعداء و يصرخ فيهم صرخة تجعلهم يولون الأدبار ،و يبحث عن جثة حبيبه حتى يجدها و يحملها إلى خيمته ، ثم يرجع إلى الميدان لينتقم من هيكتور ؛ فيبحث عنه و يكاد يلتقى به فى الأنشودة العشرين لـكن أپوللون يخفيه عنه ، وأخيراً يلتقى البطلان فى الأنشودة الثانية والعشرين ، وعندئذ تمر لحظة رهيبة تـكاد تنفطر فيها القلوب خوفاً على البطلين ، ثم ينقض اخيليوس على غريمه و يقضى عليه ، و ينهى الشاعر هذه الأنشودة بلوحتين رائعتين تصور إحداهما سرور اليونان لموت عدوهم الجبار ، وتصف الثانية حزن پرياموس وهيكوبا واندروماخا عليه ، وفى الأنشودة الثالثة والعشرين يبدأ اليونان فى إعداد جنازة پاتروكلوس و إقامة الشعائر الدينية والألعاب الرياضية قبل حرق جثته ، وفى الأنشودة الأخيرة نرى اخيليوس يسحب جثة هيكتور و يلف بها حول الـكومة المعده لحرق پاتروكلوس و يصمم على إلقائها للطيور ، لـكن زيوس لا يرضى عن ذلك فيرسل إريس لتطلب إلى پرياموس الذهاب إلى اخيليوس ليتسلم جثة ابنه ، فيطيع الشيخ المسن و يذهب إليه و يأخذ منه الجثة و يرجع بها إلى طروادة و يقيم لها الطقوس الدينية وسط نحيب الطروادیات وعو يلهن ، وتنتهى الملحمة بوصف بكاء اندروماخا زوجة هيكتور وهيكوبا أمه وصفاً بليغاً مؤثراً فى أسلوب ساحر مبين .

— ٤ —

الأوديســـا

تتكون من اثنى عشر ألف بيت قسمها النقاد ، مثل الإلياذة ، إلى أربع وعشرين أنشودة ، تنقسم بدورها إلى ثلاثة أجزاء رئيسية : أولها « أعمال تليماخوس » وتتضمن الأناشيد الأربعة الأولى وسميت باسمه لأنه يقوم فيها بالدور الأول ؛ وثانيها « مغامرات أودوسيوس » ويصفها الشاعر فى الأناشيد السبع التالية ؛ وثالثها « إنتقام أودوسيوس » ويشمل الجزء الأخير من الملحمة ويحدثنا فيه الشاعر عن رجوع أودوسيوس إلى وطنه وتخلصه من أعدائه « الأدعياء » الذين كانوا استولوا على قصره وأرادوا أن يرغموا زوجته على الزواج بواحد منهم .

ويبدأ الشاعر الملحمة مستلهماً ربات الشعر ثم يصف لنا الأهوال التى تعرض لها أودوسيوس عند عودته إلى وطنه بعد انتهاء حرب طروادة ، ويشرح لنا كيف ضل البطل طريقه فى عرض البحر وكيف قذفت به الأمواج من جزيرة إلى أخرى ، وأحدقت به الأخطار التى يصفها فى الأناشيد التالية ؛ بعد ذلك ينتقل الشاعر إلى قصر البطل فى جزيرة إيثاكا حيث نرى جماعة الأدعياء يبددون ثروة أودوسيوس ويضايقون

ابنه الصغير تليماخوس وزوجته الوفية پنيلوپا ، ثم نرى أثينا متخفية فى صورة صديق من أصدقاء أودوسيوس تنصح ابنه بالذهاب إلى پولوس واسپرطة ليعرف أخبار أبيه . ثم تحضر له (الأنشودة الثانية) سفينة وتساعده على الإبحار إلى مدينة پولوس وترافقه أثينا وقد تخفت فى صورة منتور ، وعندما يصلان (الأنشودة الثالثة) يستقبلهما الملك استقبالا طيباً ، ثم يسأله تليماخوس عن أبيه فيروى له أخبار ملوك اليونان الذين رجعوا إلى بلادهم بعد حرب طروادة ويأسف لأنه لا يعرف شيئاً من أخبار أبيه ، وينصحه بالتوجه إلى اسپرطة لعل ملكها يدله عليه ، ويصل تليماخوس هذه المدينة (الأنشودة الرابعة) ويقابل ملكها منيلاوس فيخبره بأن أباه أسير فى جزيرة إلاهة البحر كالوپسو ، وعندئذ يقرر تليماخوس العودة إلى ايثاكا . وفجأة ينقلنا الشاعر إلى هذه الجزيرة قبل رجوع الفتى إليها ويرينا الأدعياء ينصبون له شركا ليقع فيه عند عودته ، وتصل أخبار هذا الشرك إلى أمه فتخاف على ابنها وتضرع إلى أثينا أن تحميه فترسل لها حلماً يطمئنها على مصيره . بعد ذلك يحدثنا الشاعر (الأنشودة الخامسة) عن الجزيرة التى تقيم فيها كالوپسو ويخبرنا أن زيوس قد أمرها بإطلاق سراح اودوسيوس ، وأنها أخلت سبيله بعد أن أسرته سبع سنوات . . ثم يعمل البطل زورقا لنفسه ويبدأ رحلته ، لكن سرعان ما يغضب پوسيدون ويضرب البحر بشوكته فيضطرب اضطراباً شديداً ويقذف بالزورق فى مهب الرياح ويلقى به فى كل اتجاه ، ويظل البطل فى كفاح مستمر ونضال مرير حتى يصل

إلى جزيرة الفيكيان حيث يجد غابة ينام فيها . وفى (الأنشودة السادسة) تذهب نوسيكا ، ابنة ملك الجزيرة ، إلى شاطىء النهر ، فتجد أودوسيوس وتتحدث إليه وتعجب بدماثة خلقه فتطلب إليه أن يذهب إلى قصر أبيها . فيبحث عن القصر (الأنشودة السابعة) حتى يجده ويدخله فيرحب به الملك والملكة ، ويطلب إليهما أودوسيوس أن يساعداه على العودة إلى بلده ، فيعدانه بذلك بعد أن يأخذ قسطا من الراحة ؛ ثم يسأله الملك (الأنشودة الثامنة) عن شخصيته ويطلب إليه أن يحدثه عن الأخطار التى تعرض لها ، فيخبر الملك باسمه واسم والده ، ثم يصف له الأهوال التى صادفته بعد رحيله من طرواده حتى وصوله إلى هذه الجزيرة (الأناشيد ٩ — ١٢).

بعد ذلك يبدأ الجزء الأخير من الأوديسا الذى يسميه النقاد « انتقام اودوسيوس » ، ويشتمل على الأناشيد الباقية (١٣ — ٢٤) ويصف لنا الشاعر فى هذا الجزء الخطوات المختلفة التى يتخذها اودوسيوس بعد عودته إلى إيثاكا للتخلص من الادعياء ، ويشرح لنا هوميروس الدور الذى تقوم به الإلاهة أثينا لمساعدته حتى يتم له النصر على أعدائه ، ثم تعقد الإلاهة الصلح بينه وبين أقارب الأدعياء الذين أرادوا الانتقام منه . وهكذا تنتهى الأوديسا بنشر الوئام والسلام بين الفريقين .

تلك نظرة سريعة ألقيناها على أشعار هوميروس التى أنزلها اليونان من أنفسهم منزلة مقدسة ، واعتبروها المرجع الأول لتعاليمهم الدينية والخلقية فقرروا تدريسها وحفظها فى المدارس . . ولقد فاق الآثينيون اليونان جميعاً

فى تقديرهم لأشعار هوميروس ، فقرر المشرع سولون إنشادها فى أعياد البانأثينا واهتم الطاغية پيسستراتوس بجمعها والمحافظة عليها ونشر أول نسخة لها . ولقد أثرت الإلياذة والأوديسا على الأدباء والفنانين الذين عاشوا بعد هوميروس فاستلهموا منها أشعارهم وفنونهم ، ولقد وصف ايسخولوس مسرحياته بأنها فتات مائدة هوميروس ، ويُروى أن بيتا من الإلياذة هو الذى أوحى إلى فيدياس صنع تمثال زيوس وهو من أروع آيات الفن اليونانى . ولقد أجمع القدماء والمحدثون على أن الإلياذة والأوديسا هما أجمل ما نظم شعراء الملاحم ، وأن بعض أجزائهما تعتبر أجمل ما ظهر فى عالم الشعر حتى اليوم (مثل وداع هكتور لزوجه ، هلينا على أسوار طرواده ، مناجاة أودوسيوس لشبح أمه) .ومن طريف ما يذكره المؤرخون أن الإلياذة أثرت تأثيراً بالغاً على الإسكندر الأكبر ، فكان يتلوها المرة بعد الأخرى واتخذ بطلها أخيليوس مثالا يحذو حذوه ، ويقال إنه كان يحتفظ بنسخة من الإلياذة فى غلاف مرصع بالجواهر . ولعل إعجاب الإسكندر بهذه الأشعار كان نتيجة طبيعية لاهتمام أستاذه أرسطو بها ، فلقد كتب لها الفيلسوف شرحاً وافياً ، كما أشاد بها فى كتاب فن الشعر .

ولعل فى ذلك ما يشوق القارىء العربى إلى قراءة هذه الأشعار ليقف على ما بها من سحر وجمال .

— ٥ —

الملاحم بعد هوميروس

يروى لنا المؤرخون أن شعراء الملاحم اليونانية بعد هوميروس لم ينظموا قصيدة واحدة تقارن بالإلياذة أو الأوديسا ؛ حقاً لقد تنافس هؤلاء الشعراء فى تقليده ، وحاولوا أن يبلغوا ما بلغه من روعة ، لـكنهم فشلوا لأنهم لم يوهبوا ما وهب من عبقرية فذة وخيال خصب و إبداع فى التصوير ؛ لذا لم تكن لأشعارهم قيمة أدبية بل كانت مجرد قصائد تسرد تاريخ القبائل اليونانية أو تروى أساطير الآلهة أو تتحدث عن أعمال الأبطال . ولا أدل على ضآلة القيمة الأدبية لهذه الأشعار من أن نقاد اليونان وصفوها بالركاكة والضعف واعتبروها تقليداً سقيما للأشعار الهومرية نظمت فى نفس الوزن وبنفس الأسلوب ، ولعل ضعفها كان من أهم الأسباب التى أدت إلى اندثارها وعـــدم المحافظة عليها ، فمعلوماتنا عنها جميعاً مستمدة من إشارات سريعة وردت فى المسرحيات اليونانية أومن شذرات ذكرها العلماء فى مؤلفاتهم (مثل بروكلوس فى القرن الثانى الميلادى ، فوتيوس فى القرن التاسع الميلادى) . ولقد اعتاد النقاد ان يطلقوا على هذه الأشعار اسم « مجموعة الملاحم » ، ويقصدون بذلك أنها تـكون « مجموعة كاملة »

تروى لنا أساطير اليونان وتصف لنا حروبهم فى العصور الأولى . ونحن لا نعرف شيئاً عن ناظمى هذه الأشعار ، ولقد اختلفت الروايات فى نسبتها إلى هوميروس أو إلى تلاميذه أو مقلديه . وأهم هذه الملاحم :

« المجموعة الطروادية » ومن بين قصائدها الإلياذة الصغيرة ، وتروى لنا قصصاً مختلفة تتصل بحرب طروادة ولم يرد ذكرها عند هوميروس . وأشهر هذه القصص الحصان الخشبى ، وتدمير طروادة ، والعودة (أى عودة أبطال اليونان إلى بلادهم بعد تدمير طروادة) .

« المجموعة الطيبية » ويحتمل أنها أقدم من المجموعة السابقة وتدور حوادثها حول حرب طيبة ، وأسطورة الملك أويديپوس التى استمد منها سوفوكليس مسرحيته المشهورة .

وهناك مجموعة أخرى من أشعار الملاحم نظمت بعد هوميروس أيضاً ، وتنسب إليه خطأ لذا عرفت بالأناشيد الهومرية . وتتكون هذه المجموعة من ثلاث وثلاثين مقطوعة ، نظمت فى الوزن السداسى وكتبت بلغة تشبه اللغة الهومرية وبأسلوب له خصائص الأسلوب الهومرى ، ومع ذلك فقد رفض علماء الأسكندرية أن ينسبوها إلى هوميروس وقالوا إنها من نظم شعراء عاشوا بعده فى القرنين السابع والسادس ق . م . وتتألف بعض

هذه الأناشيد من بضعة مئات من الأبيات (نشيد ابوللون ، وديميتر وهرميس) ، أما البقية الأخرى فهى متوسطة الطول أو قصيرة جداً لا تتعدى بضعة أبيات . وكل هذه الأناشيد كانت تمجد آلهة اليونان (ابوللون ، اثينا ، افروديتا) ما عدا ثلاثة منها كانت تشيد بأعمال ثلاثة من الأبطال (هيراكليس وكاستور وپولوديكيس) .

الفصل الثالث
الشعر التعليمى

— ١ —

عاش هيسيودوس بعد شاعر الإلياذة والأوديسا ، ونظم الشعر على طريقتين واستخدم لغته ووزنه ، ولكنه عالج موضوعات غير موضوعاته ، ورمى إلى غاية غير غايته . عرفنا أن هوميروس كان ينتقل من قصر لآخر يتغنى بأشعاره التى تفيض بمدح الآلهة والأبطال للترويح عن أحفادهم من الملوك والأمراء ، أما هيسيودوس فكان يتحدث عن الفلاحين ويصف حياتهم وأعمالهم كما رآها ، لأنه كان يعيش فى الحاضر الذى يحيط به ، ويغفل الماضى البعيد الذى تغنى به هوميروس .

لم يكن هيسيودوس أول من نظم الشعر التعليمى ، بل سبقه شعراء آخرون مهدوا له الطريق ، كانوا أقل منه شأناً ، نظموا بعض الحكم والأمثال ، واهتموا بسرد الأنساب ووضع التقاويم الدينية وكتابة الأمثال العلمية التى تنفع الناس وتعلمهم ، وكانت هذه بداية الشعر التعليمى ، ثم جاء هيسيودوس وخلق منه فناً بلغ حد الكمال .

إن حياة هيسيودوس ، مثل حياة هوميروس ، يحوطها الغموض ، إذ يعتقد النقاد أنه كان زعيم المدرسة بأكملها ، وأنه نظم أشعاره ثم جمعها تلاميذه

من بعده بعد أن غيروا فيها وأضافوا إليها . ومع أن هيسيودوس يحدثنا فى أشعاره عن نفسه وعن أبيه ووطنه ، فإننا ما زلنا نجهل حقائق كثيرة عن حياته ، وما زال النقاد على خلاف كبير فيما يتعلق بتاريخ ميلاده ومكانه ، ويوم وفاته وكيف كانت .

يقول بعض العلماء إن شاعرنا ولد فى أسكرا ، إحدى مدن بؤوتيا فوق سفح الهليكون ، ويعتقد البعض الآخر أنه ولد فى مدينة كوما على ضفاف بحر إيجه ، ثم غادرها فى صباه إلى أسكرا الكئيبة التى يصف الشاعر مناخها « بأنه ردىء فى الشتاء ، مميت فى الصيف ، غير مناسب فى أى فصل من فصول السنة » . وكذلك تختلف الروايات فيما يتعلق بتاريخ ميلاده ، فمنها ما تقول بأنه ولد قبل هوميروس ، ومنها ما تقول بأنه ولد بعده ، بينما يقرر هيرودوت أن الشاعرين عاشا فى عصر واحد ؛ والأرجح أن هيسيودوس عاش بعد هوميروس لأنه يشير إلى موضوعات ورد ذكرها بالتفصيل فى الإلياذة ؛ ولأن أشعاره تصور مجتمعاً أرقى فى نظمه السياسية وحياته الفكرية ؛ ويقال إن هيسيودوس مات مقتولاً لأنه كان قد نزل ضيفاً على إحدى الأسر ، وأثناء إقامته اكتشف رب الأسرة أنه كان على علاقة مريبة بابنته فقتله ، وفى رواية أخرى يقال إن الشاعر قُتل خطأ بدلا من خادمه الذى ارتكب هذا الإثم ، وعندما أرادت الأسرة قتله فى الليل ، أخطأ أفرادها وقتلوا الشاعر بدلا منه .

وكان هيسيودوس من أسرة فقيرة ، عاشت فى مدينة كوما ثم هجرتها إلى أسكرا هرباً من الفقر ، وجدير بالذكر أن الشاعر لا يحدثنا عن أمه ، ويوحى إلينا بأنه لم يعرفها ، ويقول البعض إنه أغفل ذكرها عمداً لأنها كانت شرسة ، لم تعاون أباه فى كسب قوته ؛ وعلى أى حال لقد كان أبوه أحسن حظاً أثناء إقامته فى أسكرا ، فاستطاع أن يشترى ضيعة تركها لولديه هيسيودوس وپرسيس ولا يمكننا بسبب الغموض الذى يكتنف طفولة الشاعران نعرف نوع التعليم الذى تلقاه ولـكن يحتمل أنه تتلمذ على أحد شعراء أيونيا ، وأنه كان مولعاً بحفظ الروايات القديمة ، اشتهر بقوة الملاحظة ، ويقال إنه اشتغل بالفلاحة ورعى الأغنام ، وأن ربات الشعر قابلته وهو يرعى على سفح الهليكون وعلمته الإنشاد ؛ وعندما مات أبوه تولى إدارة شئون الضيعة التى كانت له مما أكسبه خبرة بالزراعة وشئونها ، وعلمه الـكثير عن فصول السنة ومواسم الزرع والحصاد ، ويظهر أن هيسيودوس ورث عن أبيه حب العمل والسعى المتواصل بينما ورث پرسيس عن أمه الـكسل والتراخى . لذا نشب بينهما نزاع بعد وفاة أبيهما على تقسيم الميراث ، إذ أحس الشاعر أن حكم القضاه كان ظالماً ، فيه تحيز لأخيه الذى اشترى ضمائرهم بالهدايا ، مما أثار هيسيودوس ضد الظلم والفساد فهاجمهما فى قصائده هجوماً عنيفاً .

— ٢ —

الأعمـال والأيام

تعتبر هذه القصيدة أهم أعمال الشاعر لأنها تمـكنا من دراسة التطور الأدبى والسياسى والاجتماعى فى حياة اليونان ؛ وهى تختلف عن الأشعار الهومرية فى أنها تفصح عن شخصية ناظمها وتتحدث عن أبيه وأخيه والبلد الذى عاش فيه ، وتختلف عنها أيضاً فى أنها مرحلة انتقال بين شعراء الملاحم الحربية و بين شعر الحـكم . ومع أنها نظمت فى ظل الملـكية المستبدة مثل الإلياذة والأوديسا إلا أنها تحمل حمـلة عنيفة على الملوك والأمراء الجشعين والحـكام المرتشين ، وهذا دليل على أن الوعى السياسى أخذ يقوى وأن الشعب اليونانى بدأ يستيقظ ، وأن هيسيودوس كان أول زعمائه الوطنيين .

وتتألف هذه القصيدة من ثمنمائة وثمانية وعشرين بيتاً ، يمكن تقسيمها ، من ناحية الموضوع ، إلى خمسة أقسام : يتكلم الشاعر فى أولها عن العمل والعدالة و يتحدث فى الثانى عن الزراعة والحقول والأعمال التى تتصل بها، وفى الجزء الثالث يتعرض للملاحة بطريقةعابره و يقدم فى الجزء الرابع نصائح عملية و إرشادات للفلاحين تنفعهم فى حياتهم الخاصة والعامة ، ثم ينهى الشاعر قصيدته بذكر الأيام التى يحل فيها العمل أو يحرم . وهذا تلخيص لموضوع القصيدة .

يبدأ الشاعر قصيدته بالتوسل إلى ربات الشعر ليشتركن معه فى تمجيد كبير الآلهة (بيت ١ — ١٠) ثم ينتقل إلى الكلام عن الحسد البغيض والتنافس البرىء والفرق بينهما . فالأول يملأ النفوس حقداً وضغينة والثانى يدفعها إلى العمل المتواصل والكفاح المثمر ، الأول يميل إلى الشر ويؤدى إلى الحرب التى تخلو من كل شفقة ، والثانى يدعو الجار لمنافسة جاره ويحثه على العمل (١١ — ٤١) . بعد ذلك يروى لنا الشاعر اسطورة پروميثيوس وپاندورا ويضيف إليها كثيراً من التفاصيل التى لم يذكرها هوميروس ثم يشرح كيف هبطت الشرور على الأرض ، وينادى بضرورة العمل المتصل لمواجهتها والتخلص منها . ثم يصف لنا كيف سرق پروميثيوس النار من السماء وأنزلها إلى الأرض دون علم زيوس الذى غضب عليه وأصر على الانتقام منه ؛ فأرسل إلى الأرض امرأة فاتنة اسمها پاندورا ، تحمل جرة تحتوى على جميع الشرور والآلام ، ولما هبطت على الأرض تزوجت أول إنسان قابلها وأهدته الجرة وعندما فتحها الزوج انطلقت منها الشرور وانتشرت على سطح الأرض وأحاطت بالناس بعد أن كانوا يعيشون فى عزلة عنها (٤٢ — ١٠٥) ، ثم يقص علينا الشاعر خرافة العصور الخمسة (الذهبى . الفضى . النحاسى . عصر الأبطال . الحديدى) التى مرت بها الإنسانية ويصف لنا كيف سارت من سىء إلى أسوأ حتى هوت إلى عالم الظلمات

والبؤس ، ويخرج من ذلك إلى القول بضرورة العمل المستمر لمقاومة هذا الشقاء ، ثم يذكر لنا اسطورة الصقر والعندليب التى تبين أن القوى يأكل الضعيف ، وهـذا مبدأ لا يقره الشاعر ، لأنه ينصح الناس باتباع الحق والابتعاد عن العنف ، فزيوس يعاقب القساة والأشرار الظالمين «والعدالة» تقف لهم بالمرصاد وتطلب إلى أبيها أن يعاقبهم أشد عقاب(١٠٦ — ٢٨٥) . بعد ذلك ينتقل الشاعر إلى اسداء النصح لأخيه الـكسول الذى أراد أن يستولى على الجزء الأكبر من الضيعة التى تركها أبوهما ، فيبين له الشاعر فائدة العمل ويحذره من الثراء عن طريق القوة والعنف أو الخداع ثم يوجه نصحه إلى الفلاحين ويرشدهم إلى ما تتطلبه أعمال الزراعة من عناية واهتمام وما تغرسه فى النفوس من فضائل (٢٨٦ — ٦١٧) ؛ ثم ينتقل إلى الـكلام عن الملاحة والسفن والبحر وأحواله (٦١٨ — ٦٧٤) . وينهى الشاعر قصيدته بعدة نصائح وعظات يوجهها إلى أهل الريف تتفق مع تقاليدهم ومعتقداتهم ، ثم يحدثهم عن أيام السنه التى يحل فيها العمل والتى يحرم فيها .

كانت هذه القصيدة إذن أول صرخة ضد الظلم ، وأول تحذير ضـد الحرب ، كان يهدف الشاعر من ورائها إلى الإعلاء من شأن الزراعة ، فوصفها على أنها مهنة شريفة تقوم على العمل والـكفاح وهما مصدر كل

سعادة وهناء . وتشير القصيدة إلى تطور فى الدين اليونانى لأنها رفعته إلى منزلة سامية وجردته من صفته المادية التى كان يتصف بها فى أشعار هوميروس فالدين عند هيسيودس وجد لخدمة العدالة التى يسهر كبير الآلهة على تطبيقها ويعاقب الخارج على قوانينها ، وكان ذلك تمهيداً لظهور الفلسفة الخلقية . ولقد اعتبر هيسيودوس بفضل مبادئه الخلقية و بفضل إخلاصه فى مناصرة الضعفاء ، ومهاجمته للأقوياء المستبدين أول مصلح اجتماعى وأول منادٍ بالمساواة لذا رجع إليه المشرعون عندما فكروا فى وضع تشريعاتهم لتنظيم المجتمع على أساس ديمقراطى سليم .

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

— ٣ —

أنساب الآلهة

تعطينا هذة القصيدة فكرة عن نوع آخر من الشعر التعليمى ، فهى تعلم اليونان نشأة دينهم وآلهتهم ، وتقص عليهم أخبار أبطالهم ، فكانت بمثابة كتاب مقدس يُجلونه كل الإجلال حتى أن هيرودوت اعتبر ناظمها خالق الدين اليونانى وواضع أسسه مع هوميروس .

وتمتاز القصيدة عن سابقتها بوحدتها الفنية وتسلسل أفكارها ؛ يستهلها الشاعر بالتوسل إلى ربات الشعر أن تعينه وتلهمه (١ ـ ١١٥) ، ثم يحدثنا عن نشأة الكون وكيف بدأت بظهور مخلوقات ثلاثة : الفوضى، والأرض ، والحب ، ولدت بعدها السماء وجماعات من الشياطين والعمالقة (تيتانيس ، كوكلوپيس . . الخ) ثم تزاوجت هذه المخلوقات فيما بينها وأنجبت أجيالا متعاقبة منها جيل الآلهة : زيوس وهيراوهاديس و پوسيدون . و بعد ذلك يخدع پروميثيوس ، أحدُ التيانس ، زيوس ويسرق منه النار فيعاقبه عقاباً صارماً ، ثم تنشب معركة هائلة بين الآلهة بزعامة زيوس و بين التيانس تنتهى بانتصار الآلهة وتنصيب زيوس ملكا عليهم . و بعد

ذلك يعدد لنا الشاعر زيجات سيد الأرباب وذريته وذرية غيره من سكان الأولومپوس وينهى قصيدته بالدعاء لربات الشعر (٤٥٣ ـ ١٢٠٠) .

وينسب النقـــاد إلى هيسيودوس قصائد أخرى لتقارب أسلوبها من أسلوبه ولوجود شبه بينها وبين القصيدتين السابقتين ، ونحن لانعرف عن هذه القصائد شيئاً يذكر فلم تصلنا منها إلا سطور متناثرة أو شذرات مبتورة . . . لذلك تعزى شهرة هيسيودوس إلى قصيدتى الأعمال والأيام وأنساب الآلهة ، وقد احتلتا منزلة سامية عند اليونان فوضعوهما ضمن مناهج التعليم واهتموا بتدريسهما فى المدارس . . .

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

الفصل الرابع

الشعر الغنائى

نشأته :

شاهد القرن السابع قبل الميلاد زوال الملكية الإقطاعية ، وقيام حكومات ارستقراطية تتألف من أبناء الأسر التى تمتاز بمركزها الإجتماعى والدينى ، وشاهد هذا القرن أيضاً ازدهار التجارة والصناعة ، مما أدى إلى ظهور طبقة جديدة تتكون من التجار والصناع الأغنياء ، أخذت تقاوم نفوذ الطبقة الارستقراطية الحاكمة التى انصرف أعضاؤها إلى استغلال مناصبهم للاثراء ، وقويت المنافسة واحتدم الصراع بين الطبقتين ، وكان ذلك سبباً فى ظهور المشرعين الذين وضعوا الدساتير العادلة ليخففوا من وطأة الحكم الارستقراطى ، وبذلك مهدوا لظهور النظام الديمقراطى .

وتبع هذا التطور السياسى تغيير شامل فى الحياة الأدبية ، فأخذ شعر الملاحم يضعف ويسير إلى الزوال لأن التغنى بالملوك والأبطال أصبح لا يتفق مع روح العصر الجديد ، وظهر نوع من الشعر يصف عواطف

الناس وما يحيط بهم من حوادث واقعية ، ويغفل الماضى البعيد ، شعر ينشد أثناء الاحتفالات الدينية والأعياد القومية والمسابقات الرسمية ، شعر يمجد الوطنية ويشيد بالروح القومية .

وجدير بالذكر أن هذا الشعر كان معروفا قبل ذلك الوقت ، إذ نشأ فى بلاد اليونان منذ أقدم العصور ، وانتشر فيها قبل شعر الملاحم ، ودليل ذلك أن ورد ذكره فى الأشعار الهومرية . فعندما يصف هوميروس ترس أخيليوس فى الأنشودة الثامنة عشرة من الإلياذة نجده يطيل الكلام عن الغناء والرقص ، فيقول « وصور هيفا يستوس على الترس حفلا راقصاً مثل الحفل الذى أقامه دايدالوس من أجل أريادنا ذات الغدائر الجميلة ، وكان يرقص فى هذا الحفل فتيان وعذارى أمسك بعضهم ببعض من السواعد وقد ارتدت العذارى ثياباً من الكتان الجميل ولبس الفتيان ثياباً من نسيج ذى بريق زيتى خافت ، وقد وضعت الفتيات فوق رءوسهن أكاليل رائعة ، أما الرجال فتدلت على جوانبهم السيوف الذهبية ، وكانوا أحياناً يدورون على أطراف أقدامهم بمهارة فائقة ، وأحياناً يتقدمون فى صفوف كل نحو الآخر ، وكانت تحيط بهؤلاء الراقصين جماعة كبيرة يتوسطهم منشد ملهم يعزف على القيثارة وشخصان يوفقان بين توقيع الرقص وأنغام المنشد » . وفى مكان آخر من هذه الأنشودة يصف لنا

الشاعر « العذارى والفتيان المرحين يحملون سلالا مليئة بالفاكهة الحلوة وقد وقف بينهم فتى يعزف الأنغام على الربابة وينشد بصوته العذب نشيد لينوس بينما كان الآخرون يغنون ويوقعون بأقدامهم » . إن كثرة هذه اللوحات فى قصائد هوميروس وهيسيودوس تدل على انتشار الشعر الغنائى فى بلاد اليونان قبل ظهور الملاحم ، ومع ذلك فإننا لا نعرف شيئاً عن هذا الشعر ، لأن أشعار هوميروس وهيسيودوس بلغت من الروعة ما جعلها تطغى عليه ، وتقلل من قيمته فاندثر فى الوقت الذى ازدهرت فيه الملاحم لأنه لم يستطع منافستها ؛ واقتصر فى تلك الفترة على أناشيد دينية يترنم فيها الشعراء بالآلهة ومقطوعات يتغنون بها فى الأفراح ومراث تقوم بترتيلها نائحات محترفات . وكان الشعراء ينظمون هـذه الأغانى بلغة شعبية ، وفى صور بسيطة ؛ فكانوا يقسمونها إلى فقرات متساوية يفصل كل اثنتين منهما بيت تردده جوقه مع المنشد ، وظل الشعر الغنائى على هـذه الصورة البدائية حتى ضعف شعر الملاحم وزال من الوجود ، ثم انبعث من جديد فى صورة قوية رائعة وأصبح أهم إنتاج فى الأدب اليونانى خلال عـدة قرون ؛ فمنذ القرن السابع تخصص الشعراء فى هذا الفن ونوعوا فى موضوعاته وجددوا فيه وابتكروا له أوزاناً جديدة تختلف فى أشكالها وعدد مقاطعها ، وتبع ذلك ازدهار الموسيقى ، فأدخل عليها الشعراء تغييرات عـديدة وتحسينات كبيرة وأكثروا من آلاتها وأنغامها .

وتعزو الروايات أهم هـــذه التجديدات إلى شاعرين هما **أولمپوس** و**ترپندروس** Terpandros ، نكاد لا نعرف عنهما شيئاً دقيقاً لأن تاريخهما مملوء بالأساطير ، ولـكن يظهر أنهما احتلا منزلة كبيرة فى تاريخ الشعر الغنائى إذ أن أفلاطون ذكر الأول مع أشهر الموسيقيين ، كما أن اسپرطة تبنت الثانى وشجعته ورفعته إلى أسمى درجات التقدير .

بعد هذين الشاعرين تطور الشعر الغنائى تطوراً عظيما وأصبح منـذ أواخر القرن السابع فناً راقياً يعبر عن مختلف الحقائق و يصور جميع العواطف ، تفرع إلى فروع عديدة تدخل تحت نوعين رئيسين :

نوع يعبر فيه الشاعر عن أفكاره و يصور عواطفه وانفعالاته الشخصية ؛ ونوع ينطق فيه بلسان الغير و يعبر فيه عن أفـكار الناس و يصور عواطفهم و إحساساتهم . وهذا النوع كان ينشد فى الحفلات الدينية والأعياد القومية ومناسبات الفرح والابتهاج التى تغلب عليها مظاهر الأبهة ، وكان يعرف بشعر الجوقات لأن الجوقة كانت تشترك مع الشاعر فى إنشاده وتوقيعه ؛ وكل نوع من النوعين السابقين كان ينقسم إلى فروع متعددة .

وأهم فروع النوع الأول : الأليجوس ، الإيامبوس

وأهم فروع النوع الثانى : البيان ، الديثورامبوس ، أغنيات الحب والزواج ، الاپنيكيون ، الأنـكوميون .

ولقد اشتهر فى كل فرع من هـذه الفروع عدد غفير من الشعراء، لـكننا نـكاد لا نعرف عنهم شيئاً لأن الجزء الأكبر من مؤلفاتهم قد فقد . وإلى القارىء كلمة عن أهم فروع هذا الشعر وأشهر الشعراء الذين نظموا فيه .

— ١ —

الأليجـــوس

نشأته :

يقول أغلب علماء اللغة إن كلمة اليجوس (Elegos) ليست يونانية الأصل ، ولـكنها دخيلة استخدمت أولا بمعنى « مزمار » ثم أطلقت على القصيدة التى تنظم لتنشد بمصاحبة المزمار ، وكانت هذه القصيدة تتألف من عدة مقطوعات ، وتتكون كل مقطوعة من بيتين ، أحدهما فى الوزن السداسى الدكتيلى والثانى فى الوزن الخماسى .

ثم استعملت كلمة اليجوس ابتداء من القرن السابع للدلالة على أية قصيدة تعبر عن مختلف الخواطر والأفـكار وتتناول شتى الموضوعات ، خاصة ما يفيض منها بالقوة والحيوية ، وصارت هـذه التسمية تطلق على الأناشيد الحربية والأغانى الغرامية والاشعار السياسية والقصائد التى تمتلىء بالتعاليم الخلقية والحـكم . ولقد انتشر الأليجوس بوجه خاص فى المدن الأيونية بآسيا الصغرى ، لذا نجد أن معظم الأشعار التى وصلتنا مكتوبة باللغة الأيونية دون التقيد بلغة المدينة التى نظمت فيها ، فمثلا نجـد شعراء أثينا واسپرطه يستخدمون اللغة الأيونية مع بعض الاصطلاحات والتعبيرات

الآتيكية والدورية ؛ وجدير بالذكر أن الأليجوس تخلص تدريجيا من الموسيقى واستغنى عن مصاحبة المزمار واعتمد كليةً على صفاء اللفظ ووضوح التركيب ليسهل إنشاده .

وأشهر الشعراء الذين نظموا فى الأليجوس : تورتايوس (أناشيد حربية) ، ممنرموس (أغاني عاطفية) سولون (أناشيد سياسية حماسية) ثيوجنس (أشعار تفيض بالحكم والأمثال) .

تورتايوس :

لا نعرف عن حياته شيئا يذكر لأنها مملوءة بالأساطير ، لكن بعض الروايات تحدثنا بأنه كان أثينيا ، غادر بلده وعاش فى اسپرطه ونظم أشعاراً حربية وحماسية لإثارة الجنود ، ولم يصلنا من هذه الأشعار إلا فقرات قصيرة ؛ منها هذه الأبيات التى يخاطب بها الاسپرطيين قائلا :

« هلموا يا أبناء اسپرطه ، أرض الأبطال ، هلموا يا شباب ، غطوا أذرعتكم بالدرق ، وارسلوا السهام بقوة ، لا تفكروا فى الحياة ولا تكترثوا بها ، فهذه ليست طبيعة الاسپرطيين » .

ومن شعره أيضاً : « إن الموت دفاعا عن الوطن لمن اروع الأشياء ، وإن أقبح ما يصيب الإنسان أن يهجر بلده ويهيم على وجهه كالبائس الذى

لا يعرف للسعادة طعما ، لذلك يجب علينا أن نحارب من أجل الوطن وأن نموت من أجل أبنائنا ولا نبخل عليهم بأرواحنا . »

ولقد أعجب الاسپرطيون بأناشيد تورتايوس إعجاباً بالغا فحفظوها وتغنوا بها وانتقلت من اسپرطه إلى الولايات اليونانية الأخرى فذاع صيتها وأصبح اليونان يتغنون بها كلما أرادوا إثارة الهمم وتشجيع الجنود .

ثيوجنس :

يعتبر أهم ممثل لشعر الحكم والأمثال ، ولد فى مدينة ميجارا بالقرب من أثينا فى منتصف القرن السادس ق . م ، وعاش حتى أوائل القرن الخامس ، ويظهر أنه أقام وقتا طويلا بمدينة ميجارا فى جزيرة صقلية مما جعل بعض المؤرخين يعتقدون أنه كان منها . وتعزى شهرة ثيوجنس إلى أن جزءا من أشعاره وصل إلينا كاملا فى مخطوط مستقل بذاته وهذا مالم يتحقق لأى شاعر من شعراء الاليجوس . .

والمخطوط ينقسم إلى قسمين : أحدهما يشتمل على ١٢٠٠ بيت من الشعر الحكمى ، والثانى ويشتمل على مائتى بيت من الشعر الغرامى ، ويجمع النقاد على أن الأخيرة منحولة عليه .

ويتضح لنا من أشعاره أنه كان ارستقراطيا محافظا يكره طبقة العامة ،

لذا نراه يوجه أشعاره إلى شاب من النبلاء اسمه كورنوس ويهاجم العامة فى أماكن كثيرة ، فيصفهم مرة « بأنهم قطيع من الخراف ، يستحقون الاحتقار والكره » ؛ ومرة أخرى يعلم كورنوس كيف يسوس العامة فيقول له : « إضرب الشعب الأحمق بنعلك ، وادفعه بالمهماز وضع على رأسه المقرن الثقيل لأنك لن تجد أبداً بين الأحياء قوما يحبون العبودية مثل شعب ميجارا » .

أما الأغنياء فكان يعيب عليهم جشعهم وحبهم لجمع المال ، وكان ينتقدهم لأنهم يبعثون الفوضى فى المجتمع بسبب تصرفاتهم وفى ذلك يقول: « إننا ، يا كورنوس ، عندما نريد خروفا أو حماراً أو حصانا نهتم بمعرفة أصله ، لكن الرجل الطيب يقبل زوجة شريرة من بيت وضيع مادامت غنية ، وبذلك تختلط الأصول بسبب الثروة ، فلا تعجب إذن يا كورنوس إذا رأيت الخبيث يختلط بالطيب فى شعب ميجارا » . ويستطرد قائلا : « وكما أن المال يفسد كل شىء كذلك الفقر يسبب الآلام الجسمانية ويدفع إلى العبودية ، واعلم يا كورنوس أنه يحطم الشريف أكثر من أى شىء آخر ، أكثر من الشيخوخة ، وأكثر من المرض ، ولكى تتجنبه لاتتردد فى الإلقاء بنفسك إلى أعماق البحار أو أسافل الأخاديد ؛ فالموت أفضل من حياة فقيرة تمتلىء بالبؤس والشقاء » . وكان الفقر يدفع الشاعر أحيانا

إلى التشكك فى الآلهة والثورة ضد قوانينهم التى لا يفهمها ، فيسأل زيوس سيد العالم « ذا القوة والسلطان — ألا تعرف نفس كل إنسان وضميره ! كيف إذن ترضى بمساواة الطيب بالخبيث والعادل بالظالم ؟ »

هذه نماذج من الموضوعات التى تعرض لها الشاعر فى قصيدته ، عالجها فى صورة نصائح وتعاليم قدمها لتلميذه لينتفع بها فى حياته ، وهى تشبه العظات والإرشادات التى وجهها هيسيودوس لأخيه . ولقد اهتم اليونان بهذا النوع من الشعر وعلموه لابنائهم فى المدارس ، واختاروا من ديوان ثيوجنس كثيراً من المقطوعات كانوا يحفظونها عن ظهر قلب .

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

— ٢ —

الإيامبـــوس

نشأته :

يرى بعض علماء اللغة أن كلمة ايامبوس (Iambos) من أصل أجنبى وأنها دخلت اللغة اليونانية عندما عرف اليونان عبادة ديونوسوس ، ومعناها الضحك والسخرية ؛ ثم تطورت وأصبحت تطلق على شعر الهجاء والتهكم. ويروى فريق آخر من العلماء هذه القصة تفسيراً لنشأة كلمة ايامبوس وكيف اطلقت على هذا النوع من الشعر . يقولون بينما كانت الإلاهه ديميتر تبحث عن ابنتها ، قابلت فتاة مرحة اسمها ايامبا (Iambé) أخذت تخفف من حزنها وتلاطفها ببعض النكات لتنسيها همومها ، فأراد الشعراء تمجيد اسم هذه الفتاة فأطلقوه على هذا الشعر .

وكان ينشد بادىء الأمر بمصاحبة الموسيقى ولـكن سرعان ما تخلص منها ، وكان عند نشأته مرحاً فكاهيا ، ثم تحول إلى هجاء لاذع ، طابعه الهجوم على بعض الأفراد ، ثم ارتقى وصار نقداً شديداً هدفه الإصلاح ، وكان ينظم فى اللهجة الأيونية ، ويعتبر ارخيلوخوس اشهر شاعر نظم فى هـــذا الفن .

أرخيلوخوس :

ولد بجزيرة پاروس فى النصف الأول من القرن السابع وكان أبوه من النبلاء الذين يشرفون على عبادة ديميتر فى هذه الجزيرة ، أما أمه فكانت عبده ، مما جعله موضع سخرية الكثيرين ، وقد زاد فى شقائه أنه كان فقيراً ، اضطر إلى الانخراط فى سلك الجندية ، كذلك أصبح ساخطاً على حظه ، ثائراً ضد القدر الساخر ، وكان عنيفاً فى حبه ، ويقال إنه أحب فتاة اسمها « نيوبولا » وأراد أن يتزوجها لكن أباها رفض ، فهاجمه الشاعر وحمل عليه وعلى ابنته حملة عنيفة ، دفعتهما إلى الانتحار للتخلص من هجائه اللاذع الذى استحق أن يلقب من أجله « بزعيم الهجائين » . ولقد ذاع صيته فى فن الهجاء حتى وضعه النقاد فى منزلة هوميروس ، وامتدحه كونتليانس بقوله « إن أسلوبه رصين رائع ، وعباراته قوية موجزة تفيض ثورة وحماساً ، لا يفوقه أحد فى العبقرية والنبوغ ، وإذا كان هناك من يمتاز عليه فليس الذنب ذنبه ، ولكن ذنب الفن الذى نظم فيه » . ولقد أثنى عليه أيضاً الناقد لونجينوس ووصف عبقريته « بالتنوع » ويشير بذلك إلى أنه نظم قصائد فى مختلف الفنون ، وألف كثيراً من الأناشيد تمتاز بخفة الروح وتدفق الأسلوب وتمتاز أيضاً بتعدد صورها واختلاف أنغامها .

ومن كلامه عن الحب قوله : « إن الحب والشوق اللذين ملآ قلبى قد نشرا على عينى طبقة من الضباب وجردانى من احساساتى الرقيقة » .

وقوله : « ما أشقانى ! لقد أضنانى الهوى ، فأصبحت بدون حياة ، إن الآلهة القساه ينزلون بى آلاما حادة تنخر فى عظامى وتحطم بنيانى » .

ومن كلامه عن الأخلاق الفاضلة وضرورة التمسك بها : « أيا نفس ، أيا نفس ، إنك لعبة بائسة ، تنتابك آلام لا تنتهى ، ولكن أفيقى وقاومى الأشرار ، واصمدى أمام الشباك التى ينصبها لك الأعداء ، فإذا انتصرت لا تختالى بنصرك ، و إذا غلبت لا تيأسى ولا تئنى فى ذلة وخضوع ولعلك فى سرورك وحزنك تتصفين بالاعتدال » .

— ٣ —

أغنيـات الحب والزواج

نشأتها :

ظهرت بادىء الأمر على شكل مقطوعات شعبية عن الحب وما يصحبه من هجر ولقاء وخصام ووفاق أو مقطوعات تصف المآدب وما يقدم فيها من ألوان الطعام وأصناف النبيذ ، ثم ارتقت هذه الأغنيـات حتى وصلت حد الـكمال فى جزيرة لسبوس ، ولم يكن ازدهار الشعر فى هذه الجزيرة وليد الصدفة بل كان يرجع أيضاً إلى أن الآلات الموسيقية بهذه الجزيرة تطورت و بلغت حداً من الرقى لم تبلغه فى مكان آخر . وكان هـذا الشعر يمتاز بالرقة والحيوية والرشاقة التى تليق بمعـانيه ، وكان ينظم باللهجتين الأيولية والأيونية لأنهما خير أداة للتعبير عن الموضوعات التى يتناولهـا . وأشهر من نبغ فى هذا الشعر سافو وألـكايوس من الأيوليين وأنا كريون من الأيونيين .

سافو :

ولدت فى أواخر القرن السابع بمدينة (Eresos) أربسوس فى جزيرة

لسبوس من أسرة نبيلة ، ولما بلغت سن الشباب هاجرت من مسقط رأسها إلى مدينة موتلينا (Mutilene) عاصمة لسبوس حيث استعرت نار الحرب الأهلية . ولقد اشتركت الشاعرة فى هذا الصراع وثارت ضد الطغيان، فنفيت إلى جزيرة صقلية و بقيت بها حتى صدر العفو عنها وعادت إلى وطنها، ومن العجيب أن هذا الدور السياسى الذى لعبته الشاعرة لم يظهر له أثر فى الأشعار التى وصلتنا من ديوانها.

لقد اختلف المؤرخون اختلافا كبيراً فى حكمهم على أخلاق هذه الشاعرة . فمنهم من يؤكد أنها تزوجت وأنجبت طفلة سمتها كليس ، ومنهم من يحدثنا عن غرامها بشاب جميل اسمه فاؤن (Phaon) لم يبادلها هياما بهيام ، بل صدها ولم يستجب لهواها ، فلم تقو على احتمال ذلك فألقت بنفسها من فوق صخرة عالية و بذا تخلصت من عذاب الصد والهجران . ومن المؤرخين من يتهمها بالخلاعة والمجون و يعتبرها امرأة ساقطة ، وهذا الفريق يعتمد على بعض العبارات التى وردت فى أشعارها ولكن يظهر أنهم لم يتوخوا الدقة فى حكمهم فمن السهل التدليل على عفة هذه الشاعرة وطهرها. فهيرودوت يخبرنا بأنها ثارت ضد أخيها وهجته هجاءا لاذعاً لأنه كان يحب امرأة ساقطة وأرسطو يحدثنا عن تقدير معاصريها واحترامهم لها و يقول إن حكومة بلدها قد مجدتها ونقشت صورتها على قطع العملة ،

يضاف إلى ذلك أن أشعار سافو تنطق بنبلها وطهارتها فعندما بعث إليها الشاعر ألكايوس بهذه الأبيات —

« سافو أيتها الطاهرة ، ذات الخصل البنفسجية ، ذات الابتسامة العذبة ، بنفسى كلام أحب أن أقوله لك لكن الحياء يمنعنى » —

ردت عليه الشاعرة رداً رقيقاً وقالت : « إذا كنت تعشق تصوير الجمال والخير ، وإذا كان لسانك عفاً لا ينطق بكلمة فاحشة ، فلا تخجل وقل ما يدور بخلدك » .

ليس من الإنصاف إذن أن تتهم هذه الشاعرة بالفجور ويحتمل أن سوء سمعتها يرجع إلى أنها عاشت فى جزيرة كانت تتمتع المرأة فيها بحرية كاملة لم يكن من السهل فهمها فى الولايات اليونانية الأخرى ، يضاف إلى ذلك أن سافو كانت تدير مدرسة للشعر الغنائى حيث كانت تعلم الفتيات وتدربهن على إلقاء الأغانى والأناشيد وأن غيرها من النساء (جورجو وأندروميدا) كن يشرفن على مدارس أخرى فقامت بينهن و بينها منازعات مصدرها الحقد والغيرة فاتخذت الملهاه من ذلك موضوعاً للفكاهة والتسلية ، مما جعل بعض الناس يسيئون الظن بها و يصدرون ضدها أحكاما قاسية .

ومهما يكن من الأمر فإن سافو كانت تتمتع بشهرة أدبية فائقة جعلت المؤرخ سترابون يضعها فى منزلة ممتازة ويعتبرها أعظم سيدة نظمت فى الشعر الغرامى .

نظمت تسعة كتب من الأغانى لم تبق منها إلا قصيدتان وردتا عند الناقدْين ديونوسيوس الهاليكارناسى ولونجينوس اللذين امتدحا أسلوبها وأثنيا على عذوبته ورقته ووصفاه بالفخامة والقوة لأنه لا يفيض بعاطفة واحدة بل بمجموعة من العواطف . ووصلنا أيضاً من أشعارها ما يقرب من مائتى شذرة متنوعة فى مختلف الفنون : اليجوس وترانيم دينية وأناشيد الزواج . ولكن سافو برعت بوجه خاص فى نظم الأغانى العاطفية التى تفيض بتقديس الحب والجمال ، وتمتلىء بوصف كل ما يمت إليهما بصلة « زهور يانعة وطيور شادية وثياب فاخرة وحلى ثمينة » ، وتعزى براعتها فى هذا الشعر إلى تنوع الصور الفنية فيه ، فهو أحياناً لطيف هادئ وأحياناً قاس عنيف ، ولكنه عذب صريح دائماً . ومن أشعارها القوية قولها فى وصف الحب :

« إننى عاشقة أحترق بنار الحب الذى يعذبنى ، إنه يحطم بدنى ، إنه حلو ومر فى وقت واحد ، إنه وحش لا يقهر ، إنه يعصف بنفسى كما تعصف ريح عاتية بأشجار صلبة عالية » .

وقولها :

« عندما أراك يجف لسانى ويخذلنى صوتى وتسرى النار فى جسدى ويزوغ بصرى وتطن أذنى وأتصبب عرقاً وتضطرب نفسى ويخضر لونى وأحس بأن المنية عاجلتنى » .

ولقد كتب لهـذه المقطوعة الخلود ، فقلدها ثيوكريتوس وترجمها كاتللس وتأثر بها راسين .

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

— ٤ —

أغانى النصر

نشأتها :

كان اليونان يهتمون بالرياضة و يؤمنون بأهميتها و يسارعون إلى حضور مهرجاناتهـــا وتشجيع المشتركين فى مبارياتها ولا أدل على اهتمامهم بالألعاب من أنها انتشرت فى مختلف البلاد ، واعتبرها اليونان من أهم الوسائل التى تحافظ على وحدتهم وتقوى روح الاتحاد بينهم ، وأقدم هذه الألعاب وأشهرها —

الأولومپيه وكانت تقام فى مدينة أولومپيا تمجيداً لزيوس والپوثية وكانت تقام فى مدينة دلفى تمجيداً للإله أپوللون والإسثمييه وكانت تقام بالقرب من برزخ كورنثة تمجيداً لپوسيدون والنمّييه وكانت تقام بمدينة نميا بمقاطعة أرجوس تمجيداً لزيوس .

وأشهر المباريات التى كانت تجرى فى هذه الألعاب هى مسابقة المركبات ومسابقة الجياد ومباريات المصارعة والقفز والجرى وقذف القرص والرمح . وكان اليونان يجلون الفائز فى هذه المباريات ويمجدونه تمجيداً بالغاً . وكان الشعراء يشيدون بانتصاره فى مقطوعات غنائية تعرف بأغانى النصر يترنمون بها فى حفلات تقام له بعد المباريات أو يستقبلونه بها عند عودته إلى وطنه . ويعتبر پانداروس أعظم من نظموا فى هذه الأغنيات .

باندار وس :

ولد بالقرب من ضاحية كونو سكفلاى عام ٥٢٢ ق. م من أسرة أرستقراطية متدينة ، ولم يكد يبلغ سن الصبا حتى أظهر اهتماماً بالغاً بتعلم الشعر الغنائى فى طيبة على يد الشاعرة المعروفة كورينا ، فصقلت ذوقه الفنى وعلمته كيف يستعمل الأساطير فى أشعاره وكيف يزين بها أغانيه ، ولم تمض سنوات قليلة حتى بدأ التلميذ النابغ فى منافسة أستاذته فدخل المباريات الشعرية ضدها خمس مرات ، ثم ذهب إلى أثينا ، عاصمة الفنون ، حيث التقى بسيمونيديس ، أشهر الشعراء الغنائيين فى ذلك الوقت ، وسرعان مالمع اسم پانداروس وأصبح يقرن باسمه وفى سن العشرين أنشد إحدى أغانيه تمجيداً للفائز فى الألعاب اليوثية (عام ٥٠٢) فنال إعجاب الجميع وفاز بثنائهم .

وعندما نشبت الحرب بين الفرس واليونان كان پانداروس قد أصبح شاعراً معروفا ودليل ذلك أن المؤرخين اهتموا بموقفه من هذه الحرب فپولو بيوس يتهمه بتأييد سياسة طيبة فى موقفها السلبى من اليونان وتحالفها مع الفرس ، ولكن پلوتارخوس يمجده ويثنى عليه ولا يشك فى وطنيته . يضاف إلى ذلك أن الشاعر نظم عدة قصائد فى تمجيد أثينا « حصن اليونان » والتغنى بالدور الذى لعبته فى هذه الحروب ، مما أثار عليه غضب طيبه ،

خليفة الفرس ، فحكمت عليه بغرامة كبيرة دفعتها له أثينا مكافأة له على مدحه إياها .

على أى حال لقد طارت سمعة پانداروس فى الآفاق وأصبح جميع الملوك والأمراء يتسابقون فى دعوته إلى قصورهم أو يطلبون إليه نظم القصائد تمجيداً لهم . وهكذا تعددت رحلاته فزار برقه ومقدونيا وذهب إلى جنوب إيطاليا وصقليه . ويقال إنه توفى فى أرجوس أثناء زيارته لها . ولقد مات پانداروس عن ثمانين سنة بعد حياة أدبية حافلة قضى معظمها فى نظم مختلف فنون الشعر الغنائى ، فحقق لنفسه منزلة أدبية سامية تحدث عنها كتاب اليونان بعد موته بوقت قصير . فذكره هيرودوت فى كتابه واقتبس أفلاطون أفكاره وعباراته ، ومجد الإسكندر ذكراه بأن حافظ على الدار التى ولد فيها فأبقى عليها وحدها بعد أن أمر بتدمير طيبة كلها .

أشعاره :

نظم پانداروس فى مختلف فنون الشعر الغنائى ، ولم يصلنا من اشعاره إلا أربعة كتب تحتوى على أغانى النصر ، أما أعماله الأخرى فقد فقدت ولم تبق منها إلا شذرات قليلة . ولكن هذه الخسارة الجسيمة لم تمنع النقاد من دراسة الشاعر دراسة عميقة مفصلة لأن أغانى النصر ، وهى أهم مؤلفاته ، كانت كافية لإعطائهم صورة واضحة عن أعماله وأسلوبه ومعتقداته الدينية وأفكاره الاجتماعية .

وتحتوى كتب الأغانى الأربعة على أربع وأربعين مقطوعة الفت في مناسبات الفوز فى الألعاب الأولومپية والپوثية والنمية والإسثمية . وكان پانداروس يبدأ القصيدة متغنياً بالبطل الفائز ونوع السباق الذى يتبارى فيه ثم ينتقل إلى الكلام عن إحدى الأساطير التى تمت بصلة إلى أصل هذه المباراة ويستطرد من ذلك إلى ذكر الإله الذى أقيمت الألعاب لتمجيده ، فيسبح بحمده ويثنى عليه ويشيد بفضله لأنه أيد البطل الفائز وكتب له النصر ، ثم ينهى قصيدته كما بدأها بالثناء على اللاعب المنتصر وتمجيد أسرته والتغنى بمدينته .

ولقد نظم پانداروس هذه الأغانى باللهجة الدورية وكتبها بلغة صعبة جعلت شعره جافا جامداً ، واعتبره النقاد أصعب شعراء اليونان ، ومع ذلك فقد امتاز أسلوبه بالصفات المبتكرة والنعوت الجميلة والكنايات البليغة ويظهر أن پانداروس كان يشعر بمقدرته الفائقة فى تصوير العواطف والانفعالات ويؤمن بتفوقه فى صناعة الشعر مما جعله يفتخر بفنه ويعتد بنفسه ويقول « إنه نسر يحلق فى الجوزاء ينظر من عل على الغربان التى تعيش فوق الأرض (إشارة إلى غيره فى الشعراء) » . ويحدثنا عن أغانيه فيصفها بأنها « براعم متفتحة مزهرة » « أو أنها شعلة أو لهب أو سهم من نار » « أو أنها كأس من ذهب تفيض بالنبيذ المزبد » . ولقد اشتهر

بانداروس بنظرته العميقة للأشيـاء و ميله الشديد للتأثير على سامعيه تأثيراً قوياً ، وكان يعتمد فى ذلك على الإيجاز والتركيز ، فكان لا يميل إلى التحليل ، بل كان يكتفى بكلمة واحدة تنفذ إلى شغاف القلوب وتصل إلى أعماقها ، وكان أسلوبه يتدفق كالسيل الجارف أو كالنهر المتدفق كما وصفه هوراتيس . وكان بانداروس ، عندما يروى رواية من الروايات ، لا يقيد نفسه بتسلسل الحوادث أو بالاطالة فى وصفها ، ولـكنه كان يكتفى بالإشارة والتلميح ، ينتقل من واقعة إلى أخرى و يعرض أمام العين لوحات متتالية ومناظر سريعة .

ولقد احتل بانداروس بفضل أسلوبه وأفكاره منزلة سامية بين شعراء اليونان الممتازين ، فيُروى أن أسرابا من النحل كانت تتجمع على شفتيه عندما كان طفلا وأن الإله بان اختار نشيداً من أناشيده وأخذ يتغنى به و يردده فى الغابات تمجيداً لصوته الملائـكى . و يعزو المؤرخون هذه المنزلة أيضاً إلى تقوى الشاعر وورعه . فأشعاره كانت صادرة عن قلب مؤمن صادق الإيمان ، وعقل ذكى قادر على تفنيد الأساطير والتفكير فيها ، يفهم معناها فهماً جيداً ثم يختار منها ما يتفق مع عقائده الدينية ومبادئه الخلقيـــة . كان بانداروس إذن متديناً ، حر التفكير ، مؤمناً واسع الأفق ، عرف الأساطير القديمة وما تحتويه من أعمال دنيئة تحط من قدر

الآلهه وتفقدهم جلالهم ، ولـكنه كان يستنكر هذه الروايات ويجل الآلهه عمـاً نسبه إليهم القدماء من حروب ومنازعات ورذائل وشرور . ولقد سما پانداروس بالآلهة لدرجة جعلت بعض النقاد يدعون أنه نادى بفـكرة التوحيد و بأن الإله هو الـكل ، و بذلك يكون حديثه عن جماعة الآلهة مجرد عادة قديمة قلد فيها الشعراء السابقين .

وهذه سطور من قصائده تعطينا فـكرة عن عاطفته الدينية وتغلغلها فى نفســه . .

« إن الله وحده قادر على كل شىء ، يلحق النسر السريع ، و يسبق الحرتيت فى أغوار الماء ، ويذل المتـكبرين » .

« إياك أن تنطق بهذا الـكلام يا لسانى، إن سب الآلهة أمر قبيح والمباهاة نوع من الجنون، دونك والثرثره الجوفاء ، إن أرباب الأولومپوس لا يعرفون الحروب ولا المنازعات . »

« إننا معشر البشر زائلون ، فما الإنسان إلا حلم لطيف ، ولـكن عندما تسلط عليه الآلهة شعاعاً أحاطت به هالة من النور الساطع وأصبحت حياته هانئة سعيدة » .

الفصل الخامس

المسرحية

— ١ —

المأساة

نشأتها وتطورها :

كان التمثيل وثيق الصلة بالأديان البدائية لأنه كان جزءاً من طقوس العبادات القديمة . ففى الهند ، حيث عرفت أقدم المناظر التمثيلية فى العالم ، ارتبط التمثيل بتلك الرقصات العنيفة التى كانت تقام لعبادة القوى الطبيعية وكذلك ارتبطت المسرحية بالدين اليونانى ارتباطاً شديداً منذ نشأتها، وظلت وثيقة الصلة به حتى بلغت حد الكمال . ولقد عرفت المناظر التمثيلية وظهرت إلى الوجود مع عبادة ابوللون وديميتر وديونوسوس ، فيحدثنا پلوتارخوس بأن صراع ابوللون مع الحية وانتصاره عليها كان موضوعا لمناظر تمثيلية بدلفى ، ويحدثنا كليمنس السكندرى بأن بعض المسرحيات الدينية كانت تمثل ليلا فى ضوء المشاعل بضاحية أليوسيس وكانت تصور

اختطاف پروسر پينا وحزن أمها عليهـــا و بحثها عنها . ولـكن عبادة ديونوسوس كانت أقوى العبادات اليونانية اتصالا بالتمثيل وأكثرها تأثيراً على تطور المسرحية . فعندما استقرت هذه العبادة ببلاد اليونان منذ أقدم العصور وامتزجت بالعبادات المحلية ، وصارت بمرور الزمن من أهم العبادات وأكثرها انتشاراً فى كثير من المقاطعات اليونانية ، عندما تم لها ذلك الاستقرار ، وأصابت ما أصابته من انتشار عريض ، أصبحت لها طقوس تضمنت عناصر التمثيل وكانت هذه الطقوس تشتمل على عواطف متضاربة كل التضارب يصورها اتباع الإله تصويراً قويا عنيفاً تصحبه انفعالات شديدة ، تعبر أحيانا عن فرح عظيم مصحوب بضحكات عالية ونكات غليظة ، كانت بمثابة البذور التى نبتت منها الملهاه ، وتعبر أحيانا أخرى عن حزن بالغ وألم شديد مصحوب بالشكوى والأنين ، ومنها نبتت المأساة .

وكانت أعياد ديونوسوس أهم المناسـبات التى ساعدت على نشأة المسرحية لأن حياة هذا الإله امتلأت بكثير من الخطوب المحزنة والحوادث السارة ، وكانت تصور لليونان الظواهر الطبيعية التى تتعرض لها زراعة الـكروم . فشجيرات العنب تصفر وتذبل فى الشتاء ، وعندما يأتى الربيع تدب فيها الحياة من جديد ، فتخضر أغصانها وتنبثق براعمها وتتفتح أزهارها ، وفى الصيف تثمر وتنضج الأعناب ، ثم تجمع وتعصر ، وكان

موسم الحصاد هو وقت الإبتهاج والمرح ، كما كان ذبول الأوراق وموت الأغصان وقت الحزن والألم . وكان اليونان يرون فى حياة هذا الإله صورة لزوال المخلوقات و بعثها من جديد ، وكانوا يمجدونه بإقامة الاحتفالات والمهرجانات العظيمة التى يسرون فيها عن أنفسهم بالغناء والرقص .

وكان الديثورامبوس هو أول نوع من أنواع الشعر الغنائى الذى كان ينظمه الشعراء و ينشدونه فى مهرجانات ديونوسوس ، وكان هذا الشعر ينشد فى بادىء الأمر بمصاحبة الناى ، وكان يتخذ موضوعه من أسطورة الإله . فيتحدث الشاعر عن ميلاده و يتعرض لتفاصيل حياته و يصف الأخطار التى أحاطت به ، وكان يضم إليه جماعة من الناس يلقنهم بعض الأبيات التى تمتلىء بالحزن والأنين ، يرددونها أثناء إنشاده المقطوعة وكانت هذه الجماعة تكون ما يعرف بالجوقة وكانوا يرتدون فى حفلات ديونوسوس جلود الماعز ليظهروا بمظهر الساتوروى ، أتباع الإله .

وتجمع الروايات على أن **أريون** (٦٥٠ ق . م) كان أول شاعر نظم قصائد ديثورامبيه وعلمها للجوقه وذلك عكس ما كان متبعا قبل ظهوره إذ كان رؤساء الجوقة البدائية غير المنظمة يتغنون باحزان ديونوسوس و يقومون بحركات تتفق مع هذه الأغاني التى يرتجلونها ، ولعل هـذا هو السبب

فى تعريف أرسطو للمأساة البدائية بأنها كانت مرتجلة . ولـكن أريون خلق من هذه الأغنيات الأولية فنا أدبيا كان بمثابة الأصل الحقيقى المسرحية ، ولقد أدخل أريون على هذه الأغانى تجديدات من ابتكاره ، فجعل الجوقة تبقى ثابتة بعد أن كانت تتكون من حشد مضطرب من الناس ، ولما استقرت الجوقه وأصبحت تثبت فى مكانها أدى ذلك إلى استعمال درجات مذبح ديونوسوس كمسرح تنشد من فوقه هذه الأغانى التى تمجد الإله . وكان أريون أيضاً أول من ابتكر نوعا من الموسيقى والنغم يلائم جوقه الساتوروى ، أتباع ديونوسوس ؛ وبفضل هـذه التجديدات التى أدخلها أريون على المقطوعات الغنائية أصبحت الطقوس التى تقام لعبادة ديونوسوس تؤثر تأثيرا بالغا فى النفوس ، وتملؤها بمشاعر قوية تعدها لتقبل الانفعالات المتضاربة والتغيير المفاجىء والصدمات المسرحيـــة العنيفة التى تلائم طبيعة المأساة .

وإلى جانب عبادة ديونوسوس وجـدت عبادة الأبطال ، وكانت تشتمل على طقوس تضمن فصولا تمثيلية تمثل فى أعيادهم ، مثل عبادة أدراستوس فى سكيون . وكان هذا البطل قائد أول حملة ذهبت لتدمير مدينة طيبه ، اعتاد أهل سكيون أن يقيموا له هيكلا وسط السوق تمجيداً لذكراه ، وينحروا له الضحايا كل عام ، وكانت الجوقات تتغنى بمغامراته

وآلامه والأخطار التى تعرض لها فى حربه ضد طيبه ، وتتحدث عن موت رفاقه وجنده وتدمير جيشه وهربه ، ثم تصف شيخوخته المحزنة ، كانت الجوقات تتغنى بهذه الأحداث وتصورها فى مناظر تمثيلية أثرت فى نشأة المأساة وظهورها .

نشأت المأساة إذن من الأغانى التى كانت تنشد تمجيداً لديونوسوس وتعظيما للأبطال، ثم أخذت تتطور تدريجيا حتى صارت فنا رائعا قائما بذاته ، لكننا لا نستطيع تتبع هذا التطور بطريقة دقيقة، ولا نستطيع أن نحدد المراحل التى مرت بها الأشعار الديثورامبيه حتى اتخذت صورة المأساة، بل إن أرسطو الذى عاش بعد ازدهار المأساة بسنوات قليلة وكان فى إمكانه أن يتكلم عن تطورها بدقة ووضوح لم يكتب شيئا مفصلا عن هذا الموضوع . ولكن من المحتمل أن تطور المأساة قد تم فى فترة قصيرة ، فلم يمض على التجديدات التى أدخلها أريون على الشعر الديثورامبى والجوقه إلا قرن من الزمن حتى ظهر شعراء نظموا مسرحيات استوفت جميع الشروط الفنية ؛ وهذه هى أهم التغيرات والتجديدات التى أدخلت على المسرحية منـــذ ظهورها حتى صارت فنا أدبيا كاملاً .

ظهرت بذور المأساة فى شمال البيلبونيس فى ضواحى سكيون وكورنثه وأخذت تنمو تدريجيا ويظهر أنها حققت فى هذه البقاع نوعا من الرقى

جعل أهل سكيون يدعون أنهم خطوا بالشعر الديثورامبى والجوقه خطوة إلى الأمام وأدخلوا عليهما بعـــد أريون شيئا من التقدم ويقولون إن أپجينيس (Epigenes) السكيونى كان أول شاعر نظم مسرحية بالمعنى الصحيح . لا شك أن رواية أهل سكيون لها نصيب من الصحة ، ولـكن فيها شيئا من المبالغة ، لأن المسرحية لم تـكتمل عناصرها ولم تأخذ صورتها النهائية إلا فى أتيكا حيث أخذت تتخلص من المظاهر الشعبية التى كانت تغلب عليها عنـــد نشأتها فى سـكيون ، فاستبعدت المجون والاستتهار واستنكرت السكر والصخب لأنهما لا يتفقان مـع رقى الذوق وسمو العواطف . وفى أتيكا أيضا حدث تغيير آخر هام هو تحول (القصّاص) إلى ممثل بالمعنى الصحيح ، إذ أصبح الراوية رئيسا للجوقه وأصبح يقوم بالدور الرئيسى فيمثل شخصية الإله والبطل المحتفل بهما أو أحد إعدائهما او انصارهما ، واصبح يقوم ايضاً بالأدوار المختلفة بأن يدخل ويخرج ويغير شخصيته من إله إلى رسول إلى بطل ، واثناء قيامه بكل دور من هذه الأدوار يخاطب أفراد الجوقه فى موضوع جديد وبذا تنوعت أغانيه وامتلأت المأساة حياة وحركة بفضل دوره الجـــديد ، ونتيجة طبيعية لهذا الدور أصبح الممثل يتبادل مع الجوقه الأسئله والأجوبة ، وبذا ظهرت فـكرة الحوار بالمعنى الصحيح ، وتحولت الأشـــعار

الديثورامبية الغنائية التى كانت تنشد بمصاحبـــة الموسيقى إلى محاورات وخطب وأحاديث ، وتعزى هـذه التجديدات كلها إلى الشاعر الآتيكى ثسپس « Thespis ٥٨٠ — ٥٣٠ ق . م ؟.»

أما موضوع المأساة فقد دخل عليه كثير من التغيير فأصبح لا يعتمد على الارتجال الذى كان يؤدى إلى اضطراب فى الأفـكار بل أصبح يُعد قبل تمثيل المسرحية مما أدى إلى ارتباط أجزاء المسرحية ومناظرها بعد أن كانت مفـكـكة ركيكة التركيب لأن أغانى الجوقه كانت تستوعب جزءاً كبيراً منها ولأن الشاعر لم يكن قد أتقن فن تنويع المواقف أو ابتكار العقد ثم مرت المسرحية بمرحلة هامة احتاجت إلى مران طويل حتى بلغت تمام نموها كما يقول أرسطو وأصبحت تتناول موضوعا مفصلا متعدد الحوادث يستغرق عرضه وقتاً طويلا ، ثم أدى طول المـأساة واتساع موضوعها إلى تأليف المجموعة الثلاثية وكانت عبارة عن ثلاث مسرحيات متصله تدور حول موضوع واحد متكامل يتكون من ثلاثة أجزاء مستقلة يمكن عرض كل جزء منها على حدة . وهكذا وصلت المأساة أقصى درجات الـكمال ، وتلت هذا الرقى تغييرات كان لا بد من دخولها على المسرحية فخلع أفراد الجوقه جلد الماعز الذى كانوا يلبسونه ليظهروا بمظهر الساتوروى ، اتباع ديونوسوس، ثم تحرر الشعراء فى اختيار موضوع المأساة

فأصبحت المسرحية تستمد موضوعاتها من الحوادث والوقائع التاريخية المعاصرة ، ثم أخذت تهتم بمعالجة المشاكل الإنسانية وأصبحت مرآة صادقة تعكس صور الحياة الواقعية القديمة والمعاصرة ، وأخذت تلقن الجمهور دروسا فى كل ما يمت إلى الحياة السياسية والاجتماعية بصله . و بعد أن كان ممثل واحـد يقوم بالأدوار المختلفة (دور الإله ، والبطل ، والرسول ...) بأن يصبغ وجهه ببعض المساحيق و يغير ملابسه تغييراً طفيفاً ، زاد أيسخولوس عدد الممثلين إلى اثنين ، واهتم بالملابس وخصص لـكل قصة أزياءها واستخدم الأحذية العالية وادخل كثيراً من الصقل والتهذيب على الأقنعة فأصبحت تعبر تعبيراً صادقا عن ملامح الممثل وعواطفه ، واعتنى بالاخراج والآلات المختلفة التى كانت تجعل المنظر رائعاً ذا تأثير بالغ، وشجع الممثلين على بذل مجهود كبير لينجحوا فى إشعار المتفرجين بأنهم يرون شيئاً حقيقيا لا خياليا . و بذا ارتقت المسرحية فى يد أيسخولوس رقيا كبيرا جعل معظم النقاد يعتبرونه أبا المأساة وخالقها الذى نظمها فى صورتها النهائية ، ولـكن يرى بعض المؤرخين أن سوفوكليس زاد فى كمال المأساة بما أدخله عليها من تجديدات بعد أيسخولوس ، فهو أول من جعل عدد الممثلين ثلاثة . حقا إن بعض الروايات تنسب هـذا التجديد إلى أيسخولوس ، ولـكن من المقطوع به أنه لم يستطع استخدام الممثلين الثلاثة بسهولة ، ولم ينجح فى استغلالهم لترقية الحوار مثل سوفوكليس الذى استطاع أن يخصص

لهم أدواراً ثابته فمكنهم من تمثيل الشخصية التى يتقمصونها تمثيلا قويا واضحاً ، ولقد زاد سوفوكليس عدد الجوقه أيضاً فصارت تتكون من خمسة عشر عضوا بعد أن كانوا اثنى عشر ومع أنه زاد فى عددها لكنه قلل من أهمية الدور الذى تقوم به ، فتضاءل الجزء الغنائى فى المسرحية ، بعكس ما كانت عليه أيام ايسخولوس الذى كانت بعض مسرحياته غنائية أكثر منها تمثيلية (المستجيرات ، الفرس) . ولقد ابتكر سوفوكليس أيضاً تصوير المناظر ووصل به إلى حد الإتقان كما يحدثنا أرسطو ، فاغنى المسرحيات بالمناظر المختلفة [1] وتخلص من التعقيد فى عرض هذه المناظر و بسّطها ، فلم يعد يلجأ إلى استخدام الآلات التى تزيد المنظر قوة وتأثيراً ، بل وجه اهتمامه إلى التمثيل نفسه والشخصيات التى تقوم به ، فبرع فى تصوير الشخصيات ، وجعل بعضها يختلف عن بعض اختلافا بيّنا فى الأفكار والعواطف ، فاكسبها هذا التنوع حيوية وواقعية وأصبحت تمتاز على شخصيات ايسخولوس التى طبعها بطابع واحد ، وحصر عددها فى دائرة ضيقة ، و بذلك لم يترك سوفوكليس لمن خلفوه مجالا للتجديد والإضافه ، لذا لم يدخل يوريبيديس أى تغيير على طريقة العرض أو الاخراج لكنه ادخل بعض التغييرات على هيكل المأساة و بنائها ؛ فأوجد المقدمة التى كانت تلقى قبل بدء التمثيل لتساعد على اظهار وحدة المأساة ، واوجد

(١) فى مسرحية انتجونا يصور القصر الملكى فى طيبة ، وفى الكترا يصور قصر موكناى ، وفى أجاكس نرى خيمة البطل ومنظر الصحراء .

أيضاً ما هو معروف « بإله من الآله » (deus ex machina) أى تدخل الآلهة لإنهاء المسرحية بالأمر الذى لا مرد له وسط تأثير بالغ وانفعالات شديدة . وافسح المجال لإظهار شخصيات متباينة من مختلف الطبقات التى كان سوفوكليس قد حاول إبعادها عن المسرح ، لذلك نجح يوريبيديس فى تصوير المجتمع تصويراً حقيقياً رائعاً ، جعل مسرحياته مرآة صادقة للعصر الذى عاش فيه .

هذه هى الخطوات التى مرت بها المأساة حتى صارت فناً أدبيا رائعا اكتملت عناصره وأصبحت تتكون من أجزاء مختلفة هى : المقدمة (prologos) وكان يلقيها ممثل واحد وأحياناً كانت حواراً بين اثنين ، ثم تتلوها مقطوعة شديدة الطول (parodos) تتغنى بها الجوقة ، تمت إلى موضوع المأساة بصلة وهى أقرب إلى الشعر الغنائى منها إلى الشعر التمثيلى وإذا ما انتهت الجوقة من غنائها بدأت حوادث المسرحية تمثل فى صورة مقطوعات من الحوار أو أجزاء قصصية تختلف طولاً وقصراً ويفصل بعضها عن بعض قطع تتغنى بها الجوقة (Stasimon) وكان الحوار أو الجزء القصصى بمثابة الفصل فى المسرحية الحديثة وكان يسميه اليونان (epeisodion) وتنتهى المسرحية بالفصل الأخير الذى يسمى (exodos) ولم يكن عدد الفصول محدوداً فى القرن الخامس ق . م . ولكن يظهر أنه

لم يتجاوز الخمسة فى عصر الاسكندرية . ومن ذلك نرى أن المأساة كانت تقوم على شيئين متناقضين وكان هذا التناقض نفسه مصدر جمالها وروعتها ، وهذان الشيئان هما وحدتها من جهة واختلاف الأجزاء التى تتكون منها من جهة أخرى ؛ فأما الوحدة فهى وحدة الموضوع ووحدة الغرض من كل أجزاء المأساة المختلفة، وأما الاختلاف فواضح مما يتعاقب على سمع المتفرجين من غناء وحوار وقصص .

بلغت المأساة إذن أقصى ما قدر لها من الرقى فى أثينا فى القرن الخامس قبل الميلاد . و يعزو المؤرخون انتعاش الأدب بصورة عامة والشعر التمثيلى بصورة خاصة فى أثينا دون غيرها من العواصم اليونانية إلى انتصارها على الفرس فى موقعتى ماراثون (٤٩٠ ق . م) وسلاميس (٤٨٠ ق . م) إذ بفضل هذا النصر المبين أصبحت أثينا زعيمة اليونان فى كل شىء ، أصبحت أعظم دولة بحرية واعترف لها اليونان بالسلطان والتفوق السياسى الذى قوّى مكانتها بين الأمم و بعث فى نفوس أهلها ثقة قوية بأنفسهم ، ولم تقتصر هذه الثقة بالنفس على الميدان السياسى والاقتصادى وما ظهر فيهما من رقى وازدهار ، بل تجاوزتهما إلى الميدان الأدبى ، إذ جعلت الآثينين يعتقدون أنهم قادرون على كل شىء ، و بفضل هذه الثقة أصبحت أثينا عاصمة للأدب والعلم والفن ، وكفاها فخراً أن أنجبت أعظم شعراء المأساة والملهاة : ايسخولوس وسوفوكليس و يوريبيديس واريستوفانيس .

— ٢ —

شعـــراء المأساة

رأينا ان ثسپس كان أول شاعر حوّل الراوية إلى ممثل يقف أمام الجوقة ويبادلها الحوار ، وبذا كان أول من خطا بالمأساة خطوة واسعة نحو الرقى فى أواخر القرن السادس (٥٨٠ — ٥٣٠ ق . م ؟) ، وأول من نظم مسرحيات بالمعنى الصحيح لم تصلنا منها إلا بضعة عناوين (الـكهنه وپنثيوس ... الخ) ، ومع أننا لا نعرف شيئاً دقيقاً عن قيمة هذه المسرحيات إلا أن جميع الروايات تعتبر ثسپس أشهر شعراء المأساة فى ذلك العصر ، استطاع بشهرته أن يحقق لنفسه الخلود ويمحو أسماء منافسيه من صفحات التاريخ ؛ وظهر بعد ثسپس فريق آخر من الشعراء ، عاشوا ما بين أواخر القرن السادس ومنتصف الخامس اشتهر من بينهم خويريلوس وفرونيجوس: ويحدثنا العالم سويداس أن أولهما قدم مائة وستين مأساة للتمثيل وأنه فاز فى المسابقات ثلاث عشرة مرة ، ومن المؤسف أننا لا نعرف شيئاً عن انتاجه إذ فقد كله ولم يبق لنا منه إلا عنوان مسرحية واحدة ، أما ثانيهما فقد وصلنا من عنوانين مآسيـــة تسعة أهمها « المصريون ، الـكستس ، ، الفينيقيات ..الخ » ، ولم تبق من هـــذه المسرحيات إلا سطور متناثرة

لا تسمح لنا بالحكم على مقدرة الشاعر وموهبته ، و يحتمل أنه بلغ منزلة ساميه لان الآثنيين ظلوا يرددون اسمه و يترنمون بأنا شيده فى عصر زعماء المأساة ، ولأن زعيم الملهاة ، أريستوفانيس ، ذكره فى مسرحياته بالتقدير والاحترام .

بعد ذلك شاهدت أثينا أروع المسرحيات التى جادت بها قريحة ايسخولوس وسوفوكليس و يوريپيديس ومع أن ثلاثتهم كانوا معا صرين عاشوا فى نصف قرن واحد ، إلا أن مؤلفاتهم يختلف بعضها عن البعض الآخر اختلافا شديدا لأسباب سنفصلها فيما بعد .

أيسخولوس

ولد ايسخولوس بن يوفوريون بمدينة أليوسيس (٥٢٥ أو ٥٢٤ ق.م) من أسرة أرستقراطية محافظة متدينة ، وقد ظهر أثر هذا التدين فى مؤلفاته فنراه فى جميع كتاباته محبا للآلهه مطيعا لهم يُجلهم و يعترف بسلطانهم، يصورهم وهم يتحكمون فى مصير الإنسان ، و يخضعونه لإرادتهم بعد حرب عنيفة تدور بين إرادة البشر الضعيفة و بين مشيئتهم القوية ، ونرى الشاعر فى معظم مسرحياته يظهر الإرادة الإنسانية متكبرة مغرورة تنكر ضعفها وتختال بقوتها وتمضى فى غرورها حتى تعرف الحقيقة المره ، فتذعن مرغمة كارهة.

ولقد اتخذ من حرب فارس مع اليونان موضوعا لمسرحية « الفرس» بين فيها أن مصدر نكبتهم وهزيمتهم إنما هو طغيان ملكهم وعناده للآلهة وخروجه عن أمرهم ثم أنهى المسرحية باظهار هذا الملك الطاغى خانعاذليلا مستسلما لما قضت به الآلهة . وكانت تظهر بمسرحيات ايسخولوس إلى جانب إرادة الآلهة وعناد البشر قوة القضاء التى تحتم على الآلهة والناس أن يذعنوا لها ويقبلوا حكمها ، فلم يكن الناس والآلهة إلا آلات تنفذ ما رسم القضاء ، لذلك ليست هناك مسرحية من مسرحياته إلا ويمكن تحليلها إلى نزاع وخصام بين هذه القوى الثلاث أو بين اثنتين منهما ولعل سبب ذلك هو أن العقل اليونانى بدأ يرتقى أبان القرن السادس قبل الميلاد ، وأخذ الفلاسفة يهاجمون الأفكار الدينيه التى سادت فى العصور الأولى واندفع الناس وراءهم وتهاونوا بأمر الدين الذى أصبح لا يجد له حصنا إلا فى نفوس الأرستقراطية المحافظة ، وكان شاعرنا من هذه الطبقة فاتصف بصفاتها وغالى فى تمسكه بالدين ومحافظته على القديم ، ومع أنه عمر ثمانين عاما حلت أثناءها الديمقراطية محل الأرستقراطية إلا أنه لم يتأثر بهذا التغيير ولم يحاول أن يقف فى وجهه بل انصرف عن كل ذلك إلى شعره معتزا بأفكاره ، عنيداً مضاء العزم يشبه بروميثيوس المغلول الذى صوره فى مأساته عنيفا فى عصيانه لأمر كبير الآلهة .

أما عن تصوير ايسخولوس لأشخاصه ، فكان ذا طابع معين لم يخرج عليه فى جميع المسرحيات ، كان الشاعر لا يطيل الحوار ولا يسهب فى غناء الجوقة ليصف أشخاصه أو يحلل عواطفهم ، ولكنه يصورهم على أنهم لا يقبلون الجدل فى تصرفاتهم ولا يحاولون تبريرها بل يتجهون إلى أغراضهم ويحاولون الوصول إليها فى قوة وعزم ، ولقد طبع شخصياته كلها بقوة نادرة و إباء شديد حتى بدت جميعها — رجالا ونساءً — وقد تميزت بهذه الصفات ، ففى مسرحية المستجيرات نجد هؤلاء الفتيات وقد امتلأت قلوبهن ثقة بالآلهة تبكين وترفعن أصواتهن بالعويل ، ولكنهن عازمات ألا يذعن أو يصيبهن الموت .

تلك أهم الخصائص التى تميز مسرحيات ايسخولوس السبع الباقية من الثمانين التى ألفها ؛ وهذه السبع هى المستجيرات والفرس وسبعة ضد طيبة و پروميثيوس مغلولا والأوريستيا وتتكون من ثلاث مسرحيات أجاممنون وحاملات القرابين واليومنيديس .

سوفوكليس

و بين ايسخولوس و بين سوفوكليس تشابه قوى واختلاف بعيد ، وسبب ذلك الظروف الخاصه التى أحاطت بالشاعرين . فايسخولوس ولد بمدينة أليوسيس وتأثر بما كان لديميتر فيها من أثر دينى . فنشأ ورعا متدينا

كما رأينا . أما سوفوكليس فولد فى قرية كولونا ولم تكن شديدة التمسك بالدين كما كانت اليوسيس ، فنشأ سوفوكليس معتدلا فى دينه ، إنسانيا فى عواطفه . لذا أصبحت المأساة عنده لا تشتمل على حرب بين إرادة القضاء والآلهة من جهة و بين إرادة الإنسان من جهة أخرى ، و إنما تصف حربا بين إرادتين إنسانيتين ، و بذا أصبح دور الآلهة فى مسرحياته محدوداً لأنهم أصبحوا يدبرون الحياة الإنسانية من بعيد بعد أن كانوا يتدخلون عند ايسخولوس فى كل شىء . فقوة مسرحيات سوفوكليس لا تأتيها من أنها تصور عظمة الآلهة وجبروتهم و إخضاعهم الإنسان لإرادتهم ، و إنما تأتيها من الحرب العنيفة بين إرادتين إنسانيتين أصرت كل منهما على ما تريد وما تزال تصطرعان حتى تتدخل الآلهة وتفصل بينهما .

فنى مسرحية أنتجونا تصر هذه الفتاة على دفن أخيها ولا يصرفها عن دفنه تهديد أو وعيد ، وعندما يُحكم عليها بالموت تلقاه دون خوف أو اضطراب لأنها تفضل الموت على التحول عن رأيها .

واختلف سوفوكليس عن زميله أيضاً فى أنه كان يصور أشخاصه تصويراً دقيقـــا ، اهتم بتحليل عواطفها ودراسة نفسيتها متأثرا بروح العصر لأن سقراط كان قـد أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض وجعل التأمل الداخلى أساساً لها ، فلم يسع سوفوكليس إلا أن يصور

هـذه الروح فى مسرحياته . وقد أدى ذلك إلى التنوع فى شخصيات مسرحياته ، فحين تلاوته نجـــدنا أمام أبطال يختلفون كل الاختلاف فى الأفكار والعواطف (أنتجونا وكريون ، الـكترا وكلوتيمنسترا)بعكس ايسخولوس الذى طبع أشخاصه بطابع واحد ، طابع الإنسان المغلوب على أمره الذى لا حول لهولا قوة . فلم يحاول ايسخولوس ، كما رأينا ، أن يطيل حوار الممثلين ليصف أخلاق أشخاصه أو يحلل عواطفهم و إنما كان يكتفى بأن ينطق أحد الممثلين بعبارة تعبر عن شخصه ، و يبقى هذا البطل يشبه نفسه فى جميع أجزاء المسرحية لا يصيبه تغيير (پروميثيوس مغلولا) ، بينما نجد الـكترا عند سوفوكليس تختلف عن كلوتيمنسترا وأويديپوس يختلف عن كريون .

و يحدثنا علماء الاسكندرية بأنه ألف مائة وثلاثا وعشرين مسرحية ، لم يبق لنا منها إلا سبع أهمها أياس ، انتجونا ، الـكترا ، اويديپوس ملـكا وأوپديپوس فى كولونا . . الخ

يوريپيديس:

إذا كانت الصورة الأدبية التى حفظها التاريخ لأيسخولوس تختلف عن صورة سوفوكليس بعض الاختـلاف فإن صورتيهما معا تختلفان كل الاختلاف عن صورة يوريپيديس فبينهما و بينه من التباعد ما يجعلنا نشعر

بأن ليس بينهما و بينه صلة . ولا يمكننا أن نفهم سبب هذا التباين إلا إذا عرفنا التغييرات التى طرأت على المجتمع الآثينى فى عصر يوريبيديس.

لقد أصبحت أثينا المركز الأول للمدنيه والعلم والفلسفة ، وأصبحت حدائقها ومبانيها مسرحاً للمباريات الخطابية والمناقشات العلمية وأصبح شبابها مولعاً بدراسة الخطابة والبلاغة ، واستولت عليه عاطفتان قويتان : حب التردد على الجمعية العمومية لحضور الجلسات الصاخبة وسماع الخطب المدوية وحب الذهاب إلى المحاكم لسماع الخطب القانونية المنمقة والوقوف على بحث المشاكل الفقهية المعقدة ؛ وفى ذلك الوقت ظهر أناكساجوراس ونادى بنظريته الجديدة التى تعتبر العقل محركا للعالم ومدبراً لشئونه ، وظهر أيضاً السفسطائيون الذين علموا الشباب فنون الحياة واتخذوا من مهنة التدريس وسيلة للإثراء ، يضاف إلى كل ذلك أن انتصار أثينا على الفرس أدى إلى زيادة مواردها وقوى شوكتها ، فعزف الشبان عن العمل وانصرفوا إلى اللهو وانغمسوا فى الملذات .

لم يكن من السهل على يوريبيديس إذن أن يغفل هذه التغييرات ، فكان عليه ألا يتصف بالعبوس والصرامة التى اتصف بها ايسخولوس ولا بالهدوء والرزانة التى اشتهر بها سوفوكليس ؛ فايسخولوس كان يمثل عقلية المحاربين القدماء المعوزين الذين انتصروا على الفرس فى ماراثون ،

وكان سوفوكليس يمثل عصر پركليس الذهبي وهو وسـط بين القديم والحديث ، أما يوريپيديس فـكان شاعر العصر الحديث ، شاعر أثينا الجديدة ، تعلم البلاغة على يد پروديكوس والفلسفة على أنا كساجوراس وصادق سقراط ، وفهم روح عصره فهماً تاماً ، فأدرك أن الشعب أخـذ يميل إلى مشاهدة مسرحية من نوع جديد لأنه سئم مسرحية ايسخولوس وسوفوكليس التى كانت تهتم فقط بتصوير المظهر الدينى ، وترمى إلى إثارة العزة القومية وتفتخر بالمجد القديم ؛ لا شك أن هذه المسرحية لاقت استحسانا ممن حاربوا فى ماراثون وآمنوا بالقوة الإلهية ، ولـكن لا شك أيضاً أنه كان يقـدر لها الفشل إذا عرضت أمام الجمهور الذى عرفه يوريپيديس ، لذلك اهتم هذا الشاعر بتأليف مسرحيات تؤثر فى قلوب سامعيه وتستسيغها عقولهم ، فقرب المأساة من إدراك البشر وخلصها من الأفـكار التى سيطرت عليها عند زميليه . فتطورت المسرحية فى يديه وصارت عملا أدبيا مملوءاً بالسخرية والهدم والتجديد ، وأصبحت إلى الملهاة أقرب منها إلى المأساة ، وأيدت القول « بأن الحياة ملهاة فى نظر المفـكرين مأساة فى نظر العاطفيين » . وكان يوريپيديس يؤمن بأن المسرحية يجب أن تجعل الإنسان محوراً لها ، فـكان لا يهتم إلا بتصويره وتحليل نفسيته وفهم تصرفاته ، ونتج عن ذلك أنه اعتنق فلسفة خاصة فيما يتعلق بالقدر ، فآمن به فى حدود حقيقة واحدة وهى « أن مبعث كل تصرف إنسانى ،

ومصدر كل سعادة أو بؤس لا يعزى إلى الإيمان بعقيدة ثابتة أو إلى مشيئة الإله ، ولـكنه يعزى إلى طبيعة البشر قبل كل شيء » . لقـد أخضع يوريپيديس كل آرائه وكل دراساته لهذه الحقيقة ، فـكان يهتم بالدين إذا اتصل بتصرفات الإنسان وكان يعنى بالفلسفة والعلوم الطبيعية إذا ساعدت المرء على التحرر من الخرافات ، وكان ينبذها جميعاً إذا جعلت الإنسان يهرب من الحقائق أو يبتعد عنها .

ولقد أثارت هذه الأفـكار المحافظين ضد يوريپيديس ولـكنه لم يكن فى حاجة إلى تأييدهم لينال إعجاب الإنسانية وتقديرها فى الأجيـال التالية . فلقد كان يوريپيديس أول من ترجم الرومان ، وذاع صيته فى عصر النهضة بينما أفل نجم زميليه أيسخولوس وسوفوكليس وأصبح نموذجا لشعراء المأســاة فى أوروبا الحديثة . وليس ذلك بكثير على من أحبه أفلاطون وأكثر من ذكره والاقتباس من مسرحياته ، وعلى من امتدح أرسطو بيانه وجمال لغته وعلى من حفظ الإسكندر كثيراً من أشعاره وأكثر من ترديد أبياته . حقا لقد هاجم شعراء الملهاة القديمة يوريپيديس هجوماً عنيفاً لأن زعيمهم اريستوفانيس كان يرى أن مسرحيات يوريپيديس تهدم الدين والسياسة والفن وتحط من قدر المأســاة وتفسد الأخلاق ، وكان يعتقد أن مهمة الشاعر هى تعظيم الفضائل وتمجيد المحامد

وإخفاء الرذائل ، ولـكن يوريپيديس لم يؤمن بنظرية ناقده لأنه كان واقعياً يحاكى الطبيعة ويصف ما يرى لذا قال عنه أرسطو إنه يصور الناس كما كانوا فى عصره فنحن نقرأ شعره فيعجبنا لأنه قريب منا ، يصف شعورنا ويحلله تحليلا دقيقاً ومع أنه كان يستمد موضوعاته من الأساطير القديمة لـكنه كان يكيفها لروح العصر الذى عاش فيه ويدخل عليها التبديلات التى تلائم أغراضه ، فـكان يغير شخصيات أبطالها ويملؤها بالمناظر المألوفة ويمزجها بالحوادث اليومية ويغير لغتها وينطق الآلهة بلغة عادية تحتوى على كثير من الاصطلاحات العامية وبذلك جرد الأساطير من جلالها وقدسيتها . فأجامنون بطل طراوده العظيم يصبح عنده رجلا عادياً يريد أن يضحى بأبنته ولـكنه يتردد لأنه يخاف زوجته ويخشى غضبها ؛ وهلينا ابنة زيوس تصبح عنده امرأة ساقطة . لم يهتم يوريپيديس إذن بتمجيد الأبطال الخياليين ولـكنه اعتنى بوصف الحيـاة الدنيا التى امتزج فيها الحزن والسرور واختلط فيها الأسى والفرح ، ولا أدل على واقعية يوريپيديس وإنسانيته من أنه كان يعبر عن آراء أغلبية المجتمع الذى عاش فيه ، فـكان يمدح الديمقراطية التى يتساوى فى ظلها الغنى والفقير ويحب السلم ويكره الحرب لأن شقاء المنتصر فى رأيه لا يقل عن بؤس المغلوب ، فأبطال اليونان الذين انتصروا فى طرواده صادفوا أخطاراً جسيمة ونـكبات أليمة لا تقل هولا عما أصاب الطروادیين من ذل واستعباد .

ولقد اختلف يوريپيديس عن زميليه أيضاً فى أنه عبر عن كرهه للرق واهتم بالدفاع عن العبيد ودعا إلى تحسين حالهم لأن الرق يفسد الأخلاق ويجعل العبد جبانا خائنا . وكان يوريپيديس أيضاً أول من خصص للحب مكانا كبيراً فى مسرحياته إذ كان الحب يعتبر فيما مضى من العواطف التى لا تستحق أن تعرض على المسرح ، لـكن يوريپيديس حلل هذه العاطفة وأفاض فى وصفها وجعلها الفـكرة الأساسية لمسرحيتين من أهم ما كتب : ميديا وهيپولوتوس ، حلل فى الأولى الغيرة الجنونية وفى الثانية عالج موضوع حب أثيم .

وهكذا كان يوريپيديس أول شاعر مسرحى صـور الإنسانية فى صورتها الحقيقية ، فبذل كل ما أوتى من جهد فى أن يرسم الحياة الواقعية وما يجرى فيها من أحداث ويصور الشخصيات كما هى لا كما يجب أن تـكون ، وبذا امتاز على زميليه أيسخولوس وسوفوكليس اللذين اهتما ، كما رأينا، بتصوير إنسانية مثالية سامية بل قل إنسانية خيالية لا وجود لها.

ولقد نظم يوريپيديس اثنتين وتسعين مسرحية وصلتنا منها سبع عشرة مأساة أشهرها : ألـكستس ، ميديا ، أندروماخا ، ألـكترا ، هلينا ، هيكوبا ... امتازت جميعها بدقة التصوير ورقة العبارة وبساطة اللغة وسهولة الأسلوب .

— ٣ —

الملهـــاة

نشأتها وتطورها :

رأينا أن الملهاة كانت ترتبط بعبادة ديونوسوس وأنها نشأت من الأغانى التى كانت تنشد لتعبر عن البشر والسرور اللذين يفيضان على المحتفلين بأعياد هذا الإله . وكان أهل الريف يخرجون فى هذه المناسبات ويقيمون المهرجانات ويملئون الطرقات ، وكانوا يسرفون فى الأكل والشراب ، ويفقدون وعيهم ويخرجون عن وقارهم ، يغنون ويرقصون ويتنافسون فى ابتكار النكات البذيئة والشتائم اللاذعة ، وكانوا يحملون صورة مكبرة لعضو الاخصاب (Phallos) لذلك أطلق عليهم أرسطو كلمة (Phallika) وكان يقف بينهم منشد يمجد إله الخمر ويتغنى بالنبيذ الممتاز تحيط به جوقة تردد بعض الأدعية والابتهالات . ومن هذه الأغانى نشأت الملهاة ، ثم تطورت حتى أصبحت فناً أدبياً ازدهر فى صقلية فى أواخر القرن السادس ق.م وبلغ فى أثينا أقصى درجات الكمال فى منتصف القرن الخامس تقريباً. وليس من المستطاع أن نتتبع مراحل تطور هذا الفن ونذكر التجديدات والتغييرات التى أدخلها عليه كل شاعر من شعراء

الملهاة . ولـكننا نعلم ، رغم الغموض الذى احاط بنشأة الملهاة وارتقائها ، أن الدولة اعترفت بها كفن مستقل و بدأت تقيم لها المسابقات المسرحية ومنحتها عام ٤٥٨ ق. م جميع الحقوق التى كانت للمأساة من قبل .

ويقول أرسطو إن أشهر شعراء الملهاة فى أوائل القرن الخامس قبل الميلاد هما خيونيديس (Chionides) وماجنيس (Magnes) ، ولقد فقدت مؤلفاتهما لذا لا نعرف عنهما شيئاً. ويعتبر كراتينوس (Kratinos) أهم الشعراء الذين ظهروا قبل أريستوفانيس ظل ينافسه حتى آخر أيامه ، وكان كراتينوس ناقداً عنيفاً فى نقده حتى أن القدماء شبهوه بأرخيلخوس وقالوا « إنه حذا حذوه فـكان نقده لاذعاً وهجاؤه مقذعاً وتهكمه صريحاً واضحاً ، لم يعبر عنـه بكلمات رقيقة تخفف من حدته كما كان يفعل أريستوفانيس بل كان يكتبه بقوة وصراحة لينال ممن لا أمانة عندهم ولا خلاق لهم » . ولم تبق لنا من مؤلفاته إلا عناوين أو مقتطفات لا تسمح لنا بدراسته . أما زعيم الملهاة بلا منازع فهو أريستوفانيس.

أريستوفانيس :

ولد عام ٤٤٥ ق. م تقريباً من أبوين على شىء من الثراء ونكاد لا نعرف عن حياته شيئاً يذكر ، ولـكن يظهر أنه كان موهوباً منذ طفولته لأنه استطاع أن يؤلف ، قبل سن العشرين ، مسرحية عن نظم التربية المعاصرة

عنوانها « ضيوف هيراكليس » نال بها الجائزة الثانية ، وفى العام الثانى لظهور هذه المسرحية (٤٢٥ ق . م) هاجم زعماء الشعب فى ملهاة أخرى اسمها « البابليون » انتقد فيها (كليون) الزعيم الشعبى انتقاداً شديداً جعله يقيم ضد الشاعر دعوى بُرىء منها بصعوبة ، ولكن مضايقات كليون وغيره لم تُثْن اريستوفانيس عن عزمه أو تقلل من تحمسه ودليل ذلك أنه استمر فى التأليف وكتب أربعين مسرحية قبل أن يموت فى سن الستين بقيت لنا منها إحدى عشرة هى اخارناى ، الفرسان ، السحب ، الزنابير ، السِلم ، الضفادع ، الطيور ، النساء فى أعياد ديميتر ، برلمان النساء ، لوسستراتا ، پلوتوس .

وتعتبر هذه المسرحيات من أهم المؤلفات الأدبية التى تصور لنا المجتمع الأثينى تصويراً دقيقاً فى القرن الخامس لأن اريستوفانيس لم يكن شاعراً فكاهياً فحسب ، بل كان مصلحاً سياسياً واجتماعياً عالج فى مسرحياته شتى الموضوعات التى كانت تشغل بال الأثنيين وقتئذ ، فانتقد نظام الدولة وندد بحكامها وهاجم سياستهم ، وطالبهم بإيقاف الحروب وتدعيم السلام ، ونادى بتحرير المرأة وبضرورة اشتراكها فى إدارة الشئون العامة ، وتناول بالدراسة نظم التربية وما يجب أن تكون عليه ، وتعرض للمشاكل الدينية والأدبية التى ظهرت فى ذلك الوقت .

وسنتناول بالتحليل بعض هذه الموضوعات كما وردت فى مسرحياته لنعطى القارئ فكرة عنها .

لقد خصص اريستوفانيس لنقد الفنون الأدبية عدداً من مسرحياته[١] أهمها «الضفادع» ؛ عقد فيها الشاعر مقارنة بين ايسخولوس ويوريبيديس ، وانتقد فيها الثانى لأنه كان ، فى رأيه ، مغرما بالقصص المقبضة ، ميالا إلى السفسطة والتعقيد ، عطوفا على الفقراء ، لا يؤمن بالآلهة . ولكن حملته على يوريبيديس لم تمنعه من ذكر محاسنه التى خلت منها مسرحيات ايسخولوس ، فأشار إلى نجاح يوريبيديس فى عمل مقدمة المسرحية تلخص موضوعها وتوضحه ، وأبدى إعجابه بأسلوبه لأنه خلص المأساة من عبارات ايسخولوس الرنانة وألفاظه الصعبة التى كانت تشبه «الدوامات أو الصخور» .

وفى مسرحية « السحب » هاجم السفسطائيين وسقراط الذى اعتبره زعيما لهم ، وندد بالنظريات الأدبية التى وضعوها والأفكار الفلسفية التى نادى بها سقراط واتهمهم جميعاً بالشعوذة والتدجيل . أما الساسة فقد انتقدهم نقداً مراً لفشلهم الذريع فى إدارة الشئون العامة . فنظم مسرحية « برلمان النساء » رأى فيها أن خير وسيلة لإنقاذ الدولة هى أن تتولى النساء أمورها حتى تستقر وتزدهر بعد أن انهارت وآلت إلى الزوال على أيدى

---

(١) النساء فى أعياد ديميتر ، السحب ، الضفادع ... الخ

رجال أشرار كانوا يسنون القوانين « وهم سكارى » « ويبرمون المعاهدات اليوم لينقضوها غداً دون أى مبرر » وجعلوا البرلمان مجمعاً للمرتزقة الذين يتقاضون مرتبات ولا يعملون شيئـــــاً . وفى مسرحية « اخارناى » ندد بسياسة أثينا الحربية ونادى بوقف الحرب مع اسپرطة وهاجم الداعين إليها ووصفهم بأنهم أعـداء الشعب لأنهم إما مهرجون يخدعون الناس ويدفعونهم إليها أو مستغلون يربحون منها أموالا طائلة ينفقونها فى اللهو والعبث أو قواد حربيون يسعون وراء ألقاب الشرف الـكاذبة أو ساسة جشعون يطمعون فى مجد زائف .

تلك بعض الموضوعات التى جعلت مسرحياته تحوز إعجاب مواطنيه الشديد خاصة وأنها كتبت بلغة شعبية بسيطة لا تعرف التعقيد اللفظى ولا المحسنات اللغوية ، لغة صريحة واضحة . وكان الشاعر لايتردد فى تسمية الأشياء بأسمائها والإكثار من السباب والشتائم المألوفة لدى العامة . لذلك اتهمه بعض النقاد ببذاءة اللسان والخروج على الآداب ولـكن اتهامهم فى الواقع لا ينطبق إلا على مواضع معينة فى بعض المسرحيات بل يحتمل أن الشاعر فى هذه المواضع نفسها كان يخضع لتقاليد الملهاة ويفكر فى إرضاء العامة الذين يميلون بطبيعتهم إلى سماع النـكات الغليظة والفـكاهات المبتذلة .

ومهما يكن من الأمر فإن اريستوفانيس يعتبر من أعظم شعراء اليونان ، وكفاه فخراً أنه اهتم فى كل مسرحياته بدراسة المجتمع وما به من مشاكل ، فلم يترك ناحية من نواحيه إلا وتعرض لها وأبدى رأيه فيها لخير الناس ورخائهم . فأثبت أنه شاعر بكل ما لهذه الكلمة من معانٍ إنسانية رائعة ، شاعر يعبر عن عواطف نبيلة وإحساسات رقيقة جعلت أفلاطون يكثر من الإشارة إليه ويدعو إلى تلاوة أشعاره .

www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

الفصل السادس

التـــاريخ

تمهيد :

لا شك أن اليونان عرفوا النثر منـــذ أقدم العصور واستخدموه فى أحاديثهم اليومية وفى تدوين الموضوعات الدينية فى سجلات كانوا يحفظونها فى المعابد ، ومن بين هذه الموضوعات التراتيل التى كانوا يرددونها فى صَلاتهم أو الإرشادات التى كانوا يتبعونها فى إقامة طقوسهم . وكانت هذه السجلات تحتوى أحياناً على قوائم بأسماء الـكهنة الذين يشرفون على عباداتهم ، وكانت تتضمن أيضاً أوصافاً للأمراض الهامة وأعراضها وطريقة العلاج منها . وظل النثر يستعمل لـكتابة هـذه الموضوعات فقط حتى نهاية القرن السادس قبل الميلاد ، ثم صار أداة للتعبير الأدبى وأخذ يتطور تدريجياً حتى بلغ ، كما سنرى ، أقصى درجات الازدهار فى أثينا على يد الفلاسفة والمؤرخين والخطباء . وهذا لا يعنى أن النثر ظهر فى عاصمة أتيكا قبل غيرها ولـكنه نشأ أولا فى آسيا الصغرى مثل الشعر فاستخدمه

فلاسفة أيونيا ومؤرخوها فى كتاباتهم ، ويظهر أن الفلاسفة كانوا أشهر من المؤرخين أو أنهم عالجوا موضوعات أخطر شأناً من موضوعاتهم ، لذلك خلدت ذكراهم فاهتم القدماء بترديد أسمائهم . أما المؤرخون فقد أغفلهم التاريخ الذى صنعوه وطواهم فى عالم النسيان . وكان من المحتمل ألا نعرف عنهم شيئاً مطلقاً لولا أن أشار إليهم بعض كتاب العصور المتأخرة ، مثل الناقد ديونوسيوس الهاليكارناسى الذى قال عنهم أثناء كلامه عن المؤرخ ثوكوديديس « قبل الحديث عن هذا المؤرخ أحب أن أقول كلمة موجزة عن المؤرخين الذين سبقوه حتى أبين كيف تفوق عليهم بفضل منهجه فى كتابة التاريخ . فلقد عاش قبل الحروب البليبونيسية عدد كبير من المؤرخين منهم كادموس وهيكاتيوس الميليتى وخارون اللمپساكى وغيرهم . كتب بعضهم تاريخ الولايات اليونانية وكتب البعض الآخر تاريخ بلاد أجنبية واعتمدوا جميعاً فى كتابتهم على الروايات المدونة بسجلات المعابد نقلوها كما هى دون حذف أو إضافة » .

وكان **هيكاتيوس الميليتى** أشهر هؤلاء المؤرخين الذين عاشوا قبل هيرودوت ، ومع أن أبا التاريخ انتقده فى مواضع مختلفة من كتابه وسخر منه ليرفع من قدر نفسه ، إلا أن هيكاتيوس يعتبر بحق أول مؤرخ يستحق الذكر .

لقد قام هيكاتيوس بأسفار عـــديدة فزار مصر وفارس وليبيا « سعياً وراء المعرفة » ، وألف كتاباً سماه « رحلة حول البحر الأبيض » تـكلم فيه عن جغرافية البلاد الواقعة على سواحل البحر الأبيض وعن شعوبها وضمن الـكتاب خريطة لهذه المنطقة ، ولقد أثنى النقاد على أسلوبه الذى امتاز بالوضوح والبساطة وعلى طريقته العلمية فى سرد الروايات ونقد الأساطير اليونانية لأنه كان لا يريد أن يدون فى كتابه إلا الحقائق لذلك بدأ كتابه قائلاً « أنا هيكاتيوس الميليتى أكتب بهذه الطريقة : إننى أدون الرواية التى أعتقد فى صحتها لأن الروايات اليونانية متعددة وتدعو إلى السخرية » . ولعل هذه العبارة وحدها تشير إلى مرحلة مهمة فى تطور النثر إذ أصبح يستعمل فى كتابة التـاريخ الذى يعتمد على الحقائق لا فى تأليف الروايات المسلية والقصص الممتعة .

ولم يمض ربع قرن على ازدهار هيكاتيوس (٥٠٠ ق . م) حتى ظهر أبو التاريخ وكتب أول كتاب تاريخى وصلنا بأكمله .

— ١ —

هيرودوت

ما زالت حياة هيرودوت مجهولة ، ورغم كثرة الدراسات التى قام بها القدماء والمحدثون ، ما زلنا نجهل الكثير عن مولده ومماته . فلا نعرف أين قضى حياته وكيف، ولا متى بدأ فى كتابة «تاريخه » ولا السبب الذى دفعه إلى تأليف هذا الكتاب الضخم، ولا متى قام برحلاته ولماذا — ألغرض علمى أم تجارى ؟ ولما كان من الصعب أن نتناول دراسة هذه المشا كل بالتفصيل لذا سنكتفى بتلخيص أهم الحقائق التى وردت عن حياة المؤرخ فى المصادر القديمة .

ولد هيرودوت حوالى عام ٤٨٠ ق . م بمدينة هاليكارناسوس التى تقع فى جنوب آسيا الصغرى ، وكانت أسرته غنية عريقة الحسب ، اشتهرت بحبها للآداب والفنون لذلك نشأ فى جو أدبى ، فقوى حب استطلاعه وزادت رغبته فى المعرفة ، وانكب على قراءة الأدب وخاصة الشعر . ولكنه لم يكد يبلغ العشرين حتى اشترك فى المنازعات السياسية والحركات القومية التى قام بها عمه الشاعر پانوآسيس فى مدينة هاليكارناسوس للقضاء على نفوذ الطاغية لوجداميس الثانى . عندئذ غادر هيرودوت وطنه

وذهب إلى جزيرة ساموس ليبتعد عن هذه الأحداث و ينجو من مصائبها إلا أن إقامته بالجزيرة لم تطل إذ فضل العودة بعد ذلك إلى هاليكارناسوس ليشترك بالفعل فى طرد الطاغية والتخلص من شروره وتثبيت دعائم النظام الديمقراطى . ولـكنه تعرض فى تلك الفترة لمهاجمات سياسية كثيرة يحتمل أنه اضطر بسببها إلى القيام برحلاته وعندما أنشئت مدينة ثوريون عام ٤٤٤ ق . م فى اليونان الـكبرى (جنوب إيطاليـــا) ذهب إليها المؤرخ واستقر بها حتى مات ودفن فى سوق المدينة ولو أن بعض النقاد يظنون أنه مات فى مدينة « پلا » حوالى عام ٤٢٦ معتمدين فى ذلك على بعض الإشارات التى وردت فى كتابه .

ويلقب هيرودوت أحيانا بمؤرخ الحرية لأنه تـكلم فى مؤلفه عن الحروب التى خاضها اليونان ضد الفرس من أجل حريتهم واستقلالهم ولأنه أسهب فى الـكلام عن معنى الحرية عند الشعبين و بين الفرق بين اليونان الذين يقدسون الحرية ويحاربون من أجلها و بين الفرس الذين لم يعرفوا لها معنى ولم يذوقوا لها طعما . ولقد عزا المؤرخ انتصار اليونان على الفرس إلى تمتعهم بالحرية « لأنها كانت تحثهم دائما على الاستمرار فى المعركة لا بأسلحتهم فحسب بل بأرواحهم أيضاً »

ولقد كان كتاب هيرودوت موضع مناقشات عدة شغلت النقاد

القدماء والمحدثين ، فتساءلوا عن الغرض من تأليفه ، وهل رمى المؤرخ من ورائه إلى وضع تاريخ عام للشعوب التى عرفها أم لم يفكر إلا فى تدوين بعض الحوادث الهامة ؛ وبحث النقاد أيضا مشكلة المصادر التى استمد منها المؤرخ معلوماته وإلى أى حد اعتمد على ما كتبه المؤرخون السابقون . واتهمه بعض النقاد بالانتحال والسرقة وعلى رأسهم من الكتاب القدماء بلوتارخوس ، ومن المحدثين العالم الانجليزى سايس الذى أثبت أن هيرودوت كان ينقل من كتب المؤرخين السابقين دون أن يذكرهم ، وهناك فريق آخر من العلماء أثنى على عمل المؤرخ باعتباره أول من كتب التاريخ بطريقة علمية .

ومهما يكن من الأمر فإن دراسة هيرودوت مهمة فى تاريخ الأدب اليونانى لأنه أول من أتقن كتابة النثر وأثبت أن قيمته لا تقل عن قيمة الشعر ، أضف إلى ذلك أن دراسته أكثر أهمية بالنسبة إلينا لأنه خصص الجزء الثانى من كتابه للكلام عن مصر وعجائبها . لذلك رأينا أن ندرس هذا الجزء فى شىء من التفصيل ونحكم على المؤرخ فى ضوء دراستنا له .

مهما اختلفت الآراء فيما يتعلق برحلة هيرودوت إلى مصر فلا شك أنه قد زارها وأن أرضنا الساحرة الغامضة — غموض أبى الهول — أثرت عليه أشد التأثير وأنه أعجب بها لأنها « إذا ما قورنت بأى أرض أخرى

فانها تفوقها فهى أغنى البلاد بعجائبها وآثارها التى يعجز عنها كل وصف» .
وينقسم كتابه عن مصر إلى ثلاثة أجزاء يتكلم المؤرخ فى أولها عن جغرافية بلادنا (فصل ١ — ٣٤) ، ويصف فى الثانى عادات المصريين ويتحدث عن دينهم (٣٥ — ٩٦) ويخصص الثالث للكلام عن تاريخهم وأعمال ملوكهم (٩٧ — ١٨٢) .

ويبدأ المؤرخ كتابه بتمجيد الحضارة المصرية القديمة لأنها من أعرق الحضارات إن لم تكن أعرقها جميعا ، ثم ينتقل إلى الحديث عن أصل مصر وكيف تكونت تربتها ويشيد بالدور الذى لعبه النيل فى تكوين الجزء الأكبر من تربة الأراضى المصرية بفضل ما يحمله من طمى وينتهز الكاتب الفرصة ليتكلم فى إسهاب عن مائه وينابيعه وعن طوله وعن اتجاه مجراه . وبعد ذلك يشرح العادات الدينية ويفصل الحديث عن واجبات الكهنة وامتيازاتهم واختيار الضحايا وطقوس التضحية وفن العرافة والحيوانات المقدسة التى يعظمها المصريون . وبعد ذلك ينتقل المؤرخ إلى الكلام عن السكان أنفسهم ، فيتكلم عن صحتهم وعن غذائهم وملبسهم وحياتهم الاجتماعية ، ويذكر الكثير عن أعيادهم وأغانيهم وأخلاقهم . ثم ينهى الكتاب ، بتسجيل تاريخ مصر منذ حكم مينا أقدم الملوك الذين حكموها حتى عصر أماسيس . ولقد خصص المؤرخ فصلا لكل

ملك ورتبهم ترتيبا زمنيا وفقا لتاريخ حكمهم، ويتخلل هذه الفصول التاريخية وصف لأعمال الملك والآثار التى بناها . وجدير بالذكر أن هيرودوت كان يكثر من الاستطرادات فيترك الموضوع الرئيسى ليروى لنا رواية أو أسطورة عن زيوس أو پرسيوس أو هلينا أو هيراكليس أو ليصف لنا بعض أجزاء ليبيا ونهر الطونه وعادات بعض الشعوب وغير ذلك مما لايمت لمصر بصـــلة ، ومرجع ذلك سعة إطلاعه واهتمامه بجميع فروع المعرفة مما جعل بعض النقاد يلقبونه بأبى التاريخ وأبى الجغرافيا وأبى الاجتماع ذلك لأنه يحدثنا فى مؤلفه عن مختلف الموضوعات ، فيحدثنا عن كيف تختار البنات أزواجهن ، وكيف يحـــافظ سكان البحيرات على أطفالهن من الغرق وكيف يتجنب المصريون عضات البعوض واى نوع من الشباك يستخدمون لذلك وكيف يقص العرب شعرهم . ويتضح لنا من ذلك أن هيرودوت لم يتقيد بفكرة تسلسل الحوادث تسلسلاً زمنياً وربطها ربطا منطقيا كما فعل المؤرخون من بعده ، بل كان يستطرد من موضوع لآخر مما قضى على وحدة الكتاب وجعله مفككا غير مرتبط الأجزاء ، ولقد أورد المؤرخ فى كتابه كثيراً من المعلومات كان فى مقدور الكاتب المدقق الاكتفاء بذكرها فى هامش الكتاب أو وضعها فى فهرس أو توضيحها بخريطة كما فعل المؤرخون من بعده .

أما عن الخصائص التى يتصف بها هيرودوت كما يتضح لنا من قراءة الجزء الثانى فأهمها نزاهة المؤرخ وعـدم تحيزه ، فإنه لم يترك فرصة واحدة دون أن يعبر عن إعجابه بالمصريين ، فى كثير من الفصول يمدح تقواهم ويشيد بعلمهم واختراعاتهم ويصرح بأن لهم الفضل الأول فى اكتشاف كثير من الأشياء التى أفادت الإنسانية جمعاء واليونان بوجه خاص ، كذلك أظهر المؤرخ إعجابه بالفرس وأثنى على شجاعتهم وامتدح فيهم قول الحق مع أنه كان يتمنى لهم الهزيمة ، ولعل نزاهته هذه هى التى جعلت پلوتارخوس يتهمه بصداقـــته للأجانب وحبه للبرابرة الذى عبر عنه فى أجزاء كتابه التسعة . ومن مميزات هيرودوت أيضاً حب الاستطلاع الشديد وقوة الملاحظة ، فكان مغرما بمعرفة البلاد المختلفة ودراسة أخلاق أهلها وطباعهم وجغرافية الأقاليم ويتضح ذلك من كلامه على منابع النيل والاهتمام بمعرفة عمقها وموقعها ، ووصفه لطبيعة بعض المناطق والطـــيور والحيوانات والمحصولات التى شاهدها فى مصر ، ويزداد حب استطلاعه ورغبته فى استقصاء المعلومات عندما يتحدث عن حياة المصرين الاجتماعية ومصادر ثروتهم وأعمالهم وطرق الترويح عن أنفسهم . . كل هـذه الموضوعات تسترعى انتباه المؤرخ وتستولى عليه فيسهب فى التحدث عنها .

ولـكن أليس من حقنا أن نتساءل فى شىء من الدهشـة كيف استطاع المؤرخ أثناء إقامته التى لا تزيد عن أربعة شهور أن يشبع هذه

الرغبة ويصل إلى معرفة كل هذه المعلومات التى سجلها فى كتابه ؟ إن المؤرخ نفسه يقرر فى الفصل (٩٩) أن كل ما ورد فى الجزء الثانى عن مصر هو نتيجة ملاحظته الشخصية ومشاهدته وأبحاثه الخاصة التى دققها بنفسه . وهذا أمر صعب التصديق ، لأن الرحالة فى عصرنا الحديث لا يستطيع ، بالرغم من سهولة المواصلات والحياة ، أن يصل إلى معرفة ما عرفه هيرودوت ،لذلك من المحتمل جداً، إن لم يكن من المؤكد، أن المؤرخ اليونانى اعتمد على مؤلفات المؤرخين السابقين واستفاد منها وخاصة كتاب هيكاتيوس ، فلا شك أنه قرأ هذا الكتاب وعرف ما جاء به ، بل من المؤكد أنه استخدمه فى كثير من المواضع واقتبس منه بعض المقتطفات دون أن يذكر اسم مؤلفه ، ولعل هذه التصرفات هى التى دفعت القدماء والمحدثين إلى التشكك فى دقته العلمية وجعلت بعضهم يتهمونه ، كما سبق القول ، بالانتحال والسرقة .

ومن المآخذ الأخرى التى توجه إلى المؤرخ ميله إلى التعميم المطلق والاستنتاج السريع ، الأمر الذى يجعلنا نشك فى نتائج أبحاثه ودقة أقواله . فمثلا لا يمكننا أن نصدق روايته التى ينص فيها على أن جميع المصريين كانوا يعيشون مع حيواناتهم فى مكان واحد (فصل ٣٦) ، وأنهم كانوا يأكلون فى الطرقات (٣٥) وكانوا جميعاً يصنعون الخبز من الأذرة .

ذلك أنه لم يكن فى مقـــدور المؤرخ ، كما سبق القول ، أن يدرس مصر العليا والسفلى فى مدة شهور أربعة ، ولم يكن فى إمكانه أن يشاهد كل مديريات القطر المصرى وما يجرى فيها ، ولم يكن فى استطاعته أن يقف على أخلاق المصريين بمختلف طبقاتهم أو يعرف طباعهم وعاداتهم ، بل لم يكن من السهل عليه أن يتصل بالعائلات المصرية و بعض الهيئات مثل رجال الدين الذين كانوا يحتقرون الأجانب ، ولا بد أنه كأجنبى وجد صعوبة أو استحالة فى التعرف على جميع الأوساط المصرية خاصة وأن المصريين القدماء عرفوا بنفورهم من الأجانب والإعراض عن مخالطتهم لأنهم كانوا يعتقدون أنهم أرقى الشعوب جميعاً وأعرقهم وأكثرهم تديناً . لذلك يمكن القول بأن المؤرخ استمد معلوماته مما رآه فى الشوارع والأسواق ومما سمعه من عامة الناس . وهيرودوت نفسه يحملنا على التشكك فى قيمة مراجعه عندما يقول إنه استمد معلوماته من الروايات التى سمعها (فصل ٩٩) أو من جماعة التراجمة ، وهذا يعنى أنه لم يحاول البحث عن الوثائق الأصلية أو الإطلاع على المصادر المهمة ، ولـكن إلى جانب هذا النقص يجب أن نعترف بأن المؤرخ لم يكن ، كما يعتقد البعض ، يصدق كل ما يسمع ، ولم يكن يقبل كل ما يروى على مسامعه ، بل كان يناقش المسائل فى بعض الأحيان بطريقة منطقية تدل على سلامة تفكيره ورجاحة عقله ، وكان يذكر أحيانا كل ما يقال له ويروى مختلف الروايات التى يسمعها ولـكنه

كان يحتاط فى حكمه فيقول « إن واجبى أن أنقل كل ما يقال ولـكننى لست ملزماً بتصديق كل شئ وهذه ملاحظة تنطبق على كل ما اكتب».

ومهما يكن من الأمر فمن الممكن ألا نضن على هيرودوت باسمه التقليدى ونعتبره « أبا التاريخ » لأنه أول من ألف كتابا فى هذا العلم قصد فيه « إلى تسجيل كل ما يهتدى إليه عن طريق البحث والاستقصاء حتى لا يطوى الزمن آثار الإنسانية فى صفحات النسيان وحتى لا تفقـــد آثار اليونان والأجانب شهرتها العظيمة ». ولـكن يجب ألا نفهم من هذه التسمية أن هيرودوت كان أول مؤرخ بالمعنى الحقيقى للـكلمة فى العصر الحديث لأن عصره وظروف رحلاته والمصادر التى استمد منها معلوماته لم تـكن تسمح له بأن يكون ناقدا مدققا ، هذا إلى أننا نعلم أن الروح العلمية تقوى على مر العصور وأن علم التاريخ يزداد دقة بتقدم الزمن ، ولا أدل على ذلك من أن هيرودوت يمثل فترة انتقال بين «الرواه» و بين « ثوكوديديس » أول مؤرخ بالمعنى الصحيح ، وأن پولو بيوس يمتاز على الأخير بدقته بينما لا يقارن بالمؤرخين المحدثين ولا يبلغ مايبلغونه من دقة وتحقيق ، لهذا يجدر بنا أن نحكم على هيرودوت فى ضوء الظروف التى أحاطت به ووفقا للعصر الذى عاش فيه لا وفقا للقرن العشرين حتى نرضى عن قراءة كتابه ونستسيغ طريقة تأليفه .

— ٢ —

ثوكوديديس

هو أول مؤرخ بالمعنى الصحيح بل هو أول ناقد للتاريخ ، ومع أنه استمع لهيرودوت وهو يقرأ بعض الأجزاء من كتابه وأظهر إعجابا شديداً بما سمع إلا أنه ، كما سنرى ، لم يعتنق فلسفته ولم ينهج منهجه فى فهم التاريخ وكتابته .

ولد ثوكوديديس عام ٤٦٥ ق . م من أسرة أثينية غنية ، وتتلمذ على الخطيب أنتيفـــون وتأثر بتعـاليم السفسطائيين أنا كساجوراس وبروتا جوراس وأفاد كثيراً من دروس جورجياس فى اللغة والبيان . وعندما نشبت الحروب البلبونيسية (٤٣١ ق . م) بين أثينا واسبرطة اشترك فيها ، فنراه فى عام ٤٢٤ ق . م قائداً للسفن التى كانت ترابط قبالة شاطئ تراقيا ، وحدث عندئذ أن داهم براسيداس ، القائد الاسبرطى ، مدينة أمفيبوليس فصدرت الأوامر للقائد الأثينى أن يذهب فى الحال لحماية المدينة ، لـكن ثوكوديديس وصل متأخراً بعد أن سقطت امفيبوليس فى يد العدو ، فعوقب على إهماله ونفى من أثينا عشرين عاما تمكن أثناءها ، كما يقول ، من مراقبة سير الحوادث وتتبع أنباء المعارك استعداداً لـكتابة

مؤلفه . ومن المؤسف أننا لا نعرف شيئاً عنه بعد ذلك التاريخ . فنحن نجهل أين نفى وهل عاد إلى وطنه بعد ٤٠٤ ق . م ومتى توفى وأين . هذه أسئلة ما زالت الإجابة عليها صعبة إن لم تكن غير ممكنة ، ولو أن هناك رواية سائدة تقول بأنه مات قبل عام ٣٩٦ ق . م .

كتب ثوكوديديس تاريخ الحرب التى اشترك فيها ما يقرب من سبع سنوات ووقف على تفاصيلها منذ البداية حتى النهاية وعاصر الحوادث التى وصفها فى تقاريره ، ولعل فى ذلك ما يشهد بأن تاريخه أصدق وأدق من أى كتاب ألفه المؤرخون من قبل ، ولا شك فى أن المؤرخ نفسه كان يدرك أن كتابه يختلف عن الكتب السابقة فى هدفه وروحه وطريقته ، ويعبر عن ذلك بقوله : « إننى لم أعتمد فى حديثى عن حوادث الحرب على معلومات عرفتها بالصدفة ، ولم أصف شيئاً إلا إذا كنت قد شاهدته بنفسى أو سمعت عنه من غيرى ثم أطلت التفكير فيما سمعت وقلبته على مختلف الوجوه ولذا كان عملى شاقا مرهقاً » . ويستطرد ثوكوديديس قائلاً : « إن كتابى سيكون جافاً غير مشوق لأنه لم يهدف إلى الترويح عن النفس ساعة أو بعض ساعة ثم يُنسى ولكنه كتاب قوى عميق سيخلد مع الزمن وينفع الناس دائماً » .

ولقد قسم علماء الإسكندرية الكتاب إلى ثمانية أجزاء : أولها عبارة

عن مقدمة للكتاب تكلم فيها المؤرخ عن تاريخ اليونان القديم وأحوالهم فى العصور السابقة ، وقارن فيها بين الحرب التى يصفها و بين حرب طروادة والحروب الفارسية ثم لخص أسباب النزاع بين أثينا واسپرطة وذكر المفاوضات التى دارت بين البلدين قبل نشوب الحرب .. و يتلو هذه المقدمة وصف للعشر سنوات الأولى من الحرب يسرده المؤرخ فى الجزء الثانى والثالث والرابع و بداية الجزء الخامس ثم ينتهى الجزء الخامس بشرح مفصل لصلح نكياس الذى تم عام ٤٢١ . وفى الكتابين السادس والسابع يروى لنا ثوكوديديس قصة الحملة الأثينية ضد صقلية ، ومع أنها حلقة مستقلة لا تتصل اتصالاً مباشراً بالنزاع بين أثينا واسپرطة لكنها أثرت فى نتائجه لأن الخسائر الفادحة التى نزلت بأثينا من جراء تلك الحملة أنهكت مواردها وأضعفت مركزها وشجعت اسپرطة على خوض المرحلة الأخيرة من الحرب التى يصفها المؤرخ فى الكتاب الثامن .

نرى من موضوع الكتاب أن المؤرخ تجنب الاستطرادات الطويلة التى أكثر منها هيرودوت وذلك لكى لا تتعدد الموضوعات التى يتناولها فتصعب عليه دراستها بدقة ووضوح ، لذا ركز المؤرخ اهتمامه ووجه كل عنايته لوصف الحروب البلپونيسية فقط ، ولم يستطرد للكلام عن بلاد اليونان فى عصره بل لم يتحدث عن أثينا واسپرطة إلا من الناحيتين

الحربية والسياسية . ولقد تجلت روح المؤرخ الواقعية فى فهم المسائل المختلفة ، فهو لا يعزو إلى الآلهة كل كبيرة وصغيرة ولا يعطيهم الأهمية الكبرى التى كانت لهم عند هيرودوت بل اتخذ منهم موقفاً جعل القدماء يشكون فى عقيدته ويرمونه بالإلحاد لأنه لم يكن يؤمن بتلك الآلهة المتقلبين ولم يكن يصدق النبوءات ولم تبهره المعجزات التى كانت تستهوى أبا التاريخ لذلك عاب على أهل ميلوس أنهم بنوا آمالهم فى النجاة على النبوءات والتنجيم والعرافة ، وكلها فى رأيه تؤدى إلى هلاك من يعتقد فيها ، كذلك لام نكياس ، رغم ثنائه عليه وإعجابه به ، لأنه كان يؤمن بالخرافات ويصدقها .

ولما كان ثوكوديديس لا يدون إلا الحقيقة دون أى تحريف أو تنميق لذلك كان يتشكك فى روايات الشعراء والمؤرخين الذين سبقوه لأنه كان يعتقد أنهم يميلون إلى زخرفة الحقائق ووضعها فى قالب جميل ، وكان يعيب على الناس تقبلهم لكل ما يقال دون فحص أو تدقيق لأنه كان لا يصدق شيئاً إلا بعد دراسة وبحث عميق ؛ وإذا تناول مسألة معاصرة كان يحاول معرفة التفاصيل بنفسه ، فإذا تعذر عليه ذلك قام بجمع المعلومات من هنا وهناك ولجأ إلى أشخاص مؤيدين للفريقين المتحاربين ليستطلع رأيهم لأنه « لم يكن مؤرخا لأثينا أو لاسبرطة بل كان مؤرخا دقيقا فحسب » . ولقد زار

مواقع المعارك الرئيسية واطلع بنفسه على الوثائق المهمة ونقل عنها كثيرا من المعلومات (مثل وثائق صلح نكياس بين أسپرطه وأثينا عام ٤٢١ م والمعاهدات التى عقدت بين أثينا وأرجوس أو بين أرجوس واسپرطه ... الخ). أما فيما يتعلق بالخطب الكثيرة التى أوردها فى ثنايا كتابه على لسان السفراء والزعماء (پركليس وكليون ونكياس . . الخ) فيعترف بأنه حاول نقلها حرفيا كما نطق بها أصحابها ولا ينكر أنه وجد صعوبة كبيرة فى المحافظة على النص الذى سمعه هو أو غيره ، لذلك كان يضطر إلى كتابتها من جديد بطريقته الخاصة ويحاول فى نفس الوقت احترام الأصل بقدر المستطاع ، ويصرح المؤرخ بأنه كان ينطق كل خطيب باللغة التى تلائم الظروف التى تكلم فيها وأنه كان يحافظ على الفكرة الجوهرية للخطبة . وسواء نجح المؤرخ فى مهمته الشاقة أم لا فإنه اعترف لنا بالحقيقة، وهذا دليل على صراحته العلمية وشجاعته الأدبية .

ولقد امتاز ثوكوديديس أيضا بنزاهته المطلقة التى تتضح للقارئ عند تلاوة أى جزء من كتابه، فكان لا يمدح ولا يذم أحداً من الناس (باستثناء الزعيم كليون الذى يرى بعض النقاد أن المؤرخ تحامل عليه وانتقده بشدة) إلا فى ضوء أعماله ومدى خضوعها للمنطق السليم ، فالناس عنده متساوون والشعوب كلها فى منزلة واحدة ، لا فرق بين يونانى وأجنبى ولا فرق بين

أثينى واسپرطى إلا بما يتحلى به من فضائل أهمها سرعة البديهة ورجاحة العقل وعمق التفكير ، ولا أدل على نزاهة ثوكوديديس من أنه أثنى على النظام الديمقراطى وأظهر إعجابه بزعيم الديمقراطية ، پركليس ، ودون خطبته التى يشيد فيها بمزايا الحكم الديمقراطى ، مع أنه كان أرستقراطيا نفته الديمقراطية من وطنه ، لكن ذلك لم يمنعه من قول الحق فكان إذا تحدث عن نفيه ، وصفه فى هدوء العالم المتزن الذى لاينساق وراء انفعالاته أو يميل مع الهوى ، وتتجلى نزاهة ثوكوديديس أيضا فى كلامه عن أسباب الحرب البلپونيسية ، فهو يرى أن هذه الحرب لم تنشب بسبب التنافس بين أثينا واسپرطة ، أو بسبب اختلاف نظام الحكم فيهما أو بسبب فقر أثينا وضيق مواردها الاقتصادية ، ولكن هذه الحرب كانت نتيجة طبيعية لجشع أثينا ونزعتها الاستعمارية ورغبتها فى فرض نفوذها على جميع الولايات اليونانية ، ولقد شرح المؤرخ هذه الأسباب بالتفصيل رغم وطنيته الصادقة ورغم إيمانه بعظمة أثينا وإعجابه بثيميستوكليس وپركليس وغيرهما من مؤسسى الإمبراطورية الأثينية ، لكن نزاهة المؤرخ ورغبته الصادقة فى ذكر الحقيقة جعلته لا يتعصب لأحد الفريقين ، فهو يعيب على اسپرطة أنانيتها وقسوة نظمها وجمودها وإعراضها عن تشجيع العلوم والفنون والأداب ولكن ذلك لا يمنعه من تحميل أثينا مسئولية الحرب .

أما أسلوب ثوكوديديس فقد تأثر بتعاليم أساتذته من السفسطائيين والخطباء ، قلدهم المؤرخ فى كثير من الأحيان ، وتأثر بكتاباتهم وأبحاثهم ، ومع ذلك فاسلوبه كان يتميز بطابعه الخاص . فلقد ابتكر ثوكوديديس كثيرا من الكلمات وأدخل فى اللغة الآتيكية استعمالات فى النحو لم تكن مألوفة من قبل وأظهر غراما بألفاظ الشعر وعباراته ، وغالبا ما كان يقلد الشعراء فى كتابته فكان لا يلتزم ترتيبا معينا للجملة بل كان يترك لنفسه مطلق الحرية فى تركيب عباراته ووضع الكلمات فى غير موضعها الطبيعى ، وكان يطيل الجملة أحيانا حتى تضطرب وكان يوجز أحيانا أخرى ويركز أفكاره فى عبارات قصيرة للغاية لذلك اتهمه بعض النقاد بالميل إلى التعقيد والغموض . ولكن رغم صعوبته فقد أجمع القدماء والمحدثون على أن كتابه يعتبر من أحسن ما كتب فى علم التاريخ وأنه يستحق الخلود الذى تنبأ له به صاحبه .

الفصل السابع

الخطـــــابة

تمهيد :

كان اليونان بطبيعتهم يميلون إلى الخطابة ، انزلوها من نفوسهم منزلة سامية ، فاعتبرها هوميروس من ميزات أبطاله واعتمد عليها فى تصوير إحساساتهم ، واتخذ منها المؤرخون والفلاسفة وسيلة للاقناع فى كتبهم ومحاوراتهم ، ثم أصبحت الخطابة فناً مستقلا عندما قويت الديمقراطية اليونانية فى جميع المدن بعد انتصـــار الأثنيين على الفرس ؛ عندئذ اشتد التنافس بين الأفراد وتعددت أسباب النزاع أمام المحاكم وشاع الجدل القضائي والسياسى فنشأت الحاجة إلى تعليم الخطابة و إتقان أساليب الإقناع . فظهر السفسطائيون فى النصف الأخير من القرن الخامس ق. م و بذلوا قصارى جهدهم فى تعليم الجدل وتخريج تلاميذ يحذقونه و برعوا فى إيراد الحجج الخلابة فى مختلف الموضوعات وأتقنوا طرق التأثير الخطابى واعتمدوا فى ذلك على الاهتمام بالألفاظ ومدلولاتها والمغالطة وأساليبها والحجج وشروطها، ولما ذاع صيتهم هرع إليهم الشباب يستمعون إلى خطبهم و ينهلون من علمهم وكانت

الخطب اليونانيــة فى عصر ازدهارها (٤٢٠ — ٣٢٠ ق . م) ثلاثة أنواع :

خطب المحافل وكانت تلقى فى الرثاء والتمجيد وأشهر خطباء هــذا النوع جورجياس ، والخطب القضائية وكان يلقيها الخطباء أو المحامون الذين احترفوا كتابة الخطب للمتقاضين نظير أجر معين ، وكان على هؤلاء المتقاضين أن يحفظوا هــذه الخطب عن ظهر قلب و يلقوها بأنفسهم أمام المحــكمة لأن القوانين الأثينية كانت لا تسمح للمتنازعين أن يوكلوا محامين عنهم وكانت تفرض عليهم الحضور بأنفسهم إلى المحــكمة . و يعتبر لوسياس أشهر من كتبوا فى الخطب القضائية .

أما الخطب السياسية فــكانت تلقى فى الجمعية العمومية عند مناقشة سياسة الدولة و بحث مشاكلها الداخلية والخارجية . ولقد ازدهرت الخطابة السياسية عندما أصبحت مقدونيا دولة خطيرة تهدد كيان اليونان وتهدف إلى القضاء عليها . عندئذ واجهت الشعب اليونانى بعامة والأثينى بخاصة هذه المشــكلة : هل يعتبر الأثينيون فيليب ملك مقدونيا عدوا يجب عليهم أن يحاربوه ولا يتفقوا معــه أبداً أم من الأفضل لهم أن يهادنوه و يتفاهموا معه ؟ وهكذا انقسم الأثينيون فيما بينهم واعتنق كل فريق رأياً وأخذ يدافع عنه و يكيل التهم للفريق الآخر ، و بذلك ظهر من الفريقين خطباء فطاحل

كانوا يتنافسون فى إقنـاع الشعب بوجهة نظرهم وتأييد سياستهم . ويعتبر ديموستنيس أعظم الخطباء جميعاً الذين كتبوا فى الخطابة السياسية .

وترجع أهمية الخطابة بأنواعها المختلفة إلى أنها تعطينا صورة عن النثر اليونانى فى أرقى أساليبه وأنها تعتبر مرجعاً هاماً لدراسة الحياة الأثينية وسجلا حافلا لتاريخها فى القرن الرابع قبل الميلاد .

— ١ —

جـــورجياس

ولد عام ٤٨٥ ق . م بمدينة ليونتينا بجزيرة صقلية وعاش مائة سنة تقريباً ومات فى ثساليا بعد أن ذاع صيته وزادت ثروته بفضل مكانته العلمية ومقدرته البلاغية . ولا أدل على أنه كان أفصح أهل زمانه وأبلغهم من أن أفلاطون اتخذه موضوعاً لأحدى محاوراته التى سماها باسمه ، وتكلم فيها عن فنه وفلسفته وتأثيرهما على تلاميذه . وعندما جاء جورجياس إلى أثينا عام ٤٢٧ ق . م يطلب منها أن تنصر بلده ضـــد مدينة سيراكوز ، عندئذ خلب ألباب الأثينيين ببلاغته ، فسارعوا إلى الاستماع له وتسابقوا فى حضور دروسه فى اللغة والبيان . ومن الـكتاب الأثينيين الذين تتلمذوا عليه وتأثروا بأسلوبه المؤرخ المشهور ثوكوديدس والفيلسوف كسينفون .

ومن المؤلفات التى تنسب إلى جورجياس كتاب فى الفلسفة عنوانه « عن الطبيعة واللاوجود » وفيه يعلن عن مقدرته فى الجدل ومهارته فى الرد على أى سؤال يلقى عليه ، وتنسب إليه أيضاً مقالات عن البيان والبلاغة ومجموعة من خطب المحافل ألقاها فى مناسبات مختلفة : إحداها « عن السلم » حيث يدعو إلى التمسك به ؛ وأخرى فى رثاء المحاربين

الأثينيين وثالثه يتغنى فيها بهلينا ورابعه يمجد فيها پالاميديس(Palamedes) ولـكن العلماء لم يجمعوا على نسبة هذه المؤلفات إلى جورجياس ، وعلى أى حال لم تصلنا منها إلا فقرات قصيرة ومقطوعات من خطبته فى مدح هلينا وتمجيد پالاميديس .

وأهم خصائص جورجياس ، كما يصورها أفلاطون فى محاورته ، عنايته بصياغه العبارة واختيار اللفظ واستعمال الـكلمات الشعرية ، ويظهران جورجياس وجـه اهتماما كبيراً إلى تنميق الأســلوب وزخرفته وبالغ فى الصنعة إلى درجة أنه كان يبذل مجهوداً ضخما ليلتزم قافية معينة ونغمة خاصة . ولعل زميله إيسوكراتيس يفسر لنا سبب هذا التـكلف عندما يقول «علينا أن نجرب ما إذا كان النثر يستطيع كالشعر أن يتغنى بمحاسن البشر» . عنى جورجياس إذن وأمثاله من خطباء المحافل بصياغة العبارة وزخرفة الأسلوب ليؤثروا فى نفوس السامعين مثل الشعراء وبالغوا فى ذلك حتى تمت لهم الغلبة ، فانقرضت بعض فنون الشعر وحلت محلها الخطب فى الرثاء والمديح . ولقد ذهب جورجياس إلى أبعد حد فى تقليد الشعراء ، فـكتب نثرا منظوما باللهجة الآتتيكية واستعمل لغة غير لغة الـكلام ، لغة تتكون من كلمات قديمة وألفاظ شاعرية وتحتوى على اصطلاحات جديدة وتعبيرات مبتكرة من شأنها أن تجعل الأسلوب فخما رنانا . وكان جورجياس يفـكر

دائماً فى جمال الأسلوب وسموه وحيويته لأنه كان يؤمن بأن الخطيب يجب أن يعتمد على قوة العبارة لا على رقتها وكان يظن أن استعمال الأضداد هوخير وسيلة لتقوية التركيب لذلك أكثر من استخدام الأضداد فى خطبه وحاول قدر الإمكان أن يبدأها وينهيها بنغمات متشابهة ويجعلها متساوية المقاطع . ولعل هذه البدع اللفظية والحيل البلاغية تشرح إغفال الخطيب للمعنى واهتمامه باللفظ حتى قيل عن عباراته « إنها مليئة بالألفاظ ، خالية من الأفكار » وأمثلة ذلك عديدة فى خطبته التى كتبها دفاعاً عن هلينا وتمجيداً لها ، فيقول فى تبرير رحليها مع باريس إلى طروادة : « إنه اغتصبها ومن أهلها خطفها وعن أصدقائها فصلها ، ، فهى تثير عطفنا ولا تستحق لومنا ، لأنه خدعها فانخذعت وبهرها فانبهرت ، فمن العدل إذن أن تحل به اللعنه وتنزل عليها الرحمة ... [1] »

ولكن بالرغم من توافق النغم وانسجام العبارة والتزام القافية فإن السامع كان يمل تكرار الجمل الجوفاء والتراكيب الرنانة ، ومع ذلك فإن عيوب الأسلوب فى خطب جورجياس لاتعنى أننا ننكر فضله فى الإعلاء من شأن النثر اليونانى وصقله وجعله أداة مرنة تصلح للتعبير عن المعانى المختلفة .

---

(١) لعل ترجمة هذه الجمل تعطى للقارىء فكرة عن التكلف فى أسلوب جورجياس .

— ٢ —

لوسيـــاس

كان من أسرة من صقلية هاجرت إلى أثينا بتشجيع من پركليس ، وأقامت بها وهناك أنشأ أبوه ، كفالوس ، مصنعاً كبيراً لصنع الأسلحة ، وربح منه مالا وفيراً ساعده على أن يشتهر بين الأثينيين والأجانب ، فنراه فى الكتاب الأول من الجمهورية شغوفاً بالفلسفة محباً للحكمة ، يتمتع باحترام محدثيه .

ويظهر أنه أنجب لوسياس بعد وصوله أثينا ببضعة أعوام (حوالى ٤٤٠ ق . م) ، وعندما بلغ ابنه خمسة عشر عاما ذهب مع أخيه پوليمارخوس إلى مدينة ثوريون بجنوب إيطاليا حيث تلقى لوسياس دروساً فى اللغة والبيان على يد السفسطائى المشهور تيسياس ، بينما تخصص أخوه فى دراسة الفلسفة . وبعد أن أتما تعليمهما عادا إلى أثينا ، وعندما آلت الأمور إلى حكومة الثلاثين عام ٤٠٤ تعرضا لاضطهاد عظيم لأنهما كانا من الديمقراطيين الأثرياء ، فسجنا ، ثم أفلح لوسياس فى الهرب ولقى أخوه حتفه . ولما تولى الحكم الحزب الديمقراطى ، رجع الخطيب إلى أثينا واستطاع أن يحصل على جميع حقوق المواطن الأثينى ، ولكن سرعان ما صدر قانون آخر حرمه منها .

بعدئذ كرس لوسياس حياته للاشتغال بالمحاماة وكتابة الدعاوى للمتقاضين لأن الخطابة القضائية كانت أحب الفنون إليه ، وهب لها نفسه حتى مات عام ٣٨٠ ق. م بعد أن ذاع صيته واعتبر أشهر المحامين فى كتابة الدعاوى .

ولقد نسب القدماء إلى لوسياس خطباً كثيرة بلغ عددها ربعمائة ولـكن ثبت أن نصفها لم يكن من تأليفه ويظهر أنها نسبت إليه لأن النقاد القدماء كانوا يعتبرونه مؤلفاً لجميع الخطب التى تمتاز بالأسلوب السهل الممتنع . ولـكن للأسف لم يصلنا من هذا الإنتاج الضخم إلا أربع وثلاثون خطبة منها ما هو فى حالة رديئة لا تسمح بقراءتها .

وكانت خطبه تمثل أنواع الخطابة الثلاثة : خطب المحافل مثل الخطبة الأولومپيه التى ألقاها لوسياس عام ٣٨٨ق. م ودعا اليونان فيها إلى التعاون والاتحاد ضد ديونوسيوس طاغى صقلية ؛ الخطب السياسية وأشهرها خطبته « ضد أراتوسثنيس » وأظهر فيها مقدرة فائقة فى سرد الوقائع وتصوير الحوادث بدقة ووضوح وإيجاز . ولقد ألف لوسياس هذه الخطبة وألقاها بنفسه ضد أراتوسثنيس أحد أعضاء حكومة الثلاثين التى أعدمت أخاه لذا بدأ لوسياس خطبته بالأشارة إلى مقتل أخيه ثم تحدث عن عهد الإرهاب والطغيان فى ظل هذه الحـكومة ووصف الجرائم التى ارتـكبتها . وتعتبر

هذه الخطبة من أروع ما كتبه خطباء اليونان وتدل على أن لوسياس ألقاها بعدأن أصبح خطيباً ممتازاً ، فهى عميقة فى موضوعها متينة فى تركيبها ، قوية بحججَها ، صادقة فى تعبيرها مليئة بالعواطف والانفعالات .

لـكن رغم النجاح الذى أحرزه لوسياس فإنه لم يكن فريد عصره فى ميدان الخطابة السياسية لأن ديموستنيس يعتبر ، كما سنرى ، أول الخطباء السياسيين ، أما شهرة لوسياس الفائقة فقد أصابها بفضل نبوغه فى الخطابة القضائية .

لقد برع فى كتابة الخطب للمتقاضين و بلغ نجاحه فى هذا المجال حداً كبيراً حتى أن معاصريه اعتبروه أشهر المحـامين وأبرعهم و يرجع ذلك إلى أن لوسياس كان أقدر الخطباء على تقمص شخصية موكله وفهم ظروفه والتشبع بروحه إلى درجة أنه كان يستطيع محو شخصيته محواً تاماً . فنقرأ خطبته وكأننا نقرأ ما كتبه أو نطق به الموكل نفسه .

أما أسلوب لوسياس فى الخطب القضائية ، فكان نموذجاً يقلده كل من كتب فى هذا الفن ، حتى ديموستنيس نفسه أعجب به وتأثر ببساطته وجماله ، ولقد وصفه النقاد القدماء « بالسحر والجاذبية » لأنه كان يمتاز برشاقة التعبير ونقاء اللفظ و وضوح المعنى . وكان لوسياس أول من استخدم لغة التخاطب فى كتابته واستطاع أن يخلق من اللغة العامية أسلو باً أدبياً

خالصاً ، خالياً من الألفاظ الرنانة والعبارات المثيرة والمحسنات اللفظية والحيل البلاغية ، لذلك أجمع النقاد على أن أسلوب لوسياس كان سهلا طبيعيا ، واضحاً ، منطقيا ، هادئا ؛ كما أن تركيب خطبته كان بسيطا قوى البنيان قلما غير فيه أو حذف أحد أجزائه (المقدمة . القصة . الحجة . الخاتمة) . وفوق ذلك كانت تمتاز خطب لوسياس بأنها كانت تعالج موضوعات هامة وتتناول المشاكل التى تتصل اتصالا وثيقاً بالحياة لذا كانت صورة دقيقة للمجتمع الأثينى تصف لنا أعمال وعواطف الناس الذين عاشوا فيه . وتعتبر خطبة لوسياس عن « مقتل اراتوسثنيس » من أشهر كتاباته القضائية لأنها تصور روح العصر تصويراً صادقا وتصف حياة الأثينيين اليومية وحالتهم الاجتماعية وصفاً دقيقاً .

وتتلخص الخطبة فى أن يوفيليتوس كان يعيش مع زوجته عيشة راضية ، ولما أنجبت له طفلا ازداد هناؤهما وقويت ثقة الزوج بزوجته . ولكن حدث بعد ذلك أن تعرف اراتوسثنيس على الزوجة واتصل بها وأخذ يزورها فى بيتها فنشأت بينهما علاقة آثمة سمع بها الزوج ، فقرر أن يضبط العاشقين متلبسين بالجريمة ، فتم له ما أراد بمساعدة الخادم . وفاجأ غريمه مع زوجته فأرداه قتيلا . ولقد كتب له لوسياس هذه الخطبة

ليدافع بها عن نفسه أمام المحكمة التى قضت ببراءته بعد سماع دفاعه وتقدير ظروفه .

وما زالت تعد هذه الخطبة من أروع ما كتبه اليونان جميعا ، اعتبرها القدماء نموذجاً للخطابة القضائية ووصفوا كاتبها بأنه « أبرع كتاب عصره » ومدحوا أسلوبه لأنه كان أكثر الأساليب « سحراً وعذوبة » .

— ٣ —

ديموستنيس

ولد فى أثينا عام ٣٨٤ ق . م ومات أبوه وهو فى السابعة وترك له ثروة طائلة لم يحرص الأوصياء على تنميتها بل بددوها كلها تقريباً وعند ما بلغ ديموستنيس السابعة عشرة من عمره لم يجد منها إلا المنزل الذى كان يسكنه مع أمه وأخته و بعض العبيد . ولقد أهمل الأوصياء تعليم ديموستنيس ولم يهتموا بتربيته لذا لم ينل من التعليم إلا قسطا ضئيلا ، فتلقن بعض مبادىء النحو والبلاغة والأدب اليونانى .

ولما بلغ ديموستنيس سن الرشد صمم على مقاضاة أوصيائه القساه و إقامة الدعاوى ضدهم . ومع أن هذه الدعاوى لم تمكنه من استرداد أمواله إلا أنها أكسبته خبرة كبيرة فى فن المحاماه . ويروى أن ديموستنيس أحب الخطابة وعشقها منذ أن استمع للقائد كاليستراتوس وهو يدافع عن نفسه عند ما اتهم بالخيانة العظمى فى الحرب التى نشبت بين طيبة وأثينا عام ٣٦٦ — ٣٦٥ ق.م . وسواء أصحت هذه الرواية أم لا فمن المقطوع به أن ديموستنيس اهتم اهتماما بالغا بدراسة الخطابة فاطلع على خطب إيسوكراتيس وتتلمذ على إيسايوس الذى كان من أشهر رجال القانون

وأبرعهم فى كسب قضايا الميراث ، فتعلم عنه أصول الخطابة وأفاد من علمه ودرايته القانونية وتأثر به تأثراً واضحاً فى الخطب التى ألقاها ضد الأوصياء ، ولقد وصلتنا خمس من هذه الخطب : ثلاث ضد أفوبوس واثنتان ضد أنتنور الذى تواطأ معه ضد ديموستنيس . ومع أن الخطيب ألقى تلك الخطب فى مستهل حياته إلا أنها امتازت بالدقة والوضوح فى عرض الموضوع وسرد الوقائع كما امتازت بالأسلوب القوى والأدلة المقنعة .

واستمر ديموستنيس يجاهد فى إتقان فن المحاماه والتدرب على نظام المحاكم والإلمام التام بمواد القانون الأثينى ثم بدأ يشتغل بكتابة الخطب للمتقاضين أمام المحاكم واتخذ من ذلك مهنة أصاب فيها نجاحاً كبيراً وربح من ورائها مالا وفيراً وذاع صيت ديموستنيس بفضل خطبه القضائية التى بلغ بعضها حد الكمال ، وتعتبر هذه الخطب سجلا صادقا لوصف الحياة الأثينية فى ذلك العصر ، مثلها مثل مسرحيات أريستوفانيس تعطينا صورة دقيقة عن أخلاق الأثينين وحياتهم الإجتماعية والإقتصادية ؛ وأهم هذه الخطب تلك التى كتبها ديموستنيس لفورميون ليدافع بها الأخير عن نفسه عند نظر الدعوى التى أقامها عليه ابن مولاه . والخطبة تلخيص لحياة فورميون الذى كان عبداً ذكيا وظل يرقى فى خدمة سيده حتى أصبح شريكا له فى المصرف الذى كان يملكه ؛ ولكن بعد وفاة السيد دب نزاع بين

فورميون و بين ابن سيده الذى حقد على عتيق أبيه ورفع ضده دعوى دفعها فورميون بخطبة ديموسثنيس . وتمتاز هـذه الخطبة ومثيلاتها (ضد كاليكليس ، وضد كونون ..) بالايجاز والبساطة والحيوية .

و بعد أن أصاب ديموسثنيس نجاحاً فى الخطابة القضائية ، بدأ يهتم باتقان البلاغة وأخذ يفـكر فى أن يكون خطيبا مصقعا ذائع الصيت ، و بدأ يتطلع إلى الاشتغال بالسياسة ليخطب فى الجمعية العمومية . لـكنه فشل فى بادىء الأمر وسخر منه الأثينيون وقاطعوه ولم يستطع التأثير فيهم لأن إلقاءه كان معيبا ونطقه كان رديئا وصوته كان مضطر باً . و يروى أنه خرج حزينا ذات مره لمـا أصابه من فشل فى الجمعية العمومية فقابله الشيخ المسن يونوموس (Eunomos) وحاول تشجيعه والثناء عليه وأكد له أنه بارع فى خطابته مثل پركليس ولا تنقصه إلا الشجاعـة الأدبية والمقدرة على مواجهة الجماهير و يقال أيضاً إن الممثل ساتوروس(Saturos) لقنه دروسا فى الإلقاء وعلمه طرق النطق . وعندئذ تشجع ديموسثنيس وصمم على التخلص من النقائص الخطابية التى تعوق نجاحه . فبنى لنفسه حجرة تحت الأرض كان يبقى بها ولا يغادرها ، يقضى فيها شهوراً بأكملها يتمرن خلالها على الإلقاء وتصحيح الأخطاء ؛ و يحدثنا پلوتارخوس أن ديموسثنيس كان يضع الحصى تحت لسانه ليتغلب على لثغته و يتعود

النطق الصحيح . وهكذا أصبح خطيب أثينا الأول الذى كرس ما يقرب من ثلاثين عاما للجهاد من أجلها والمحافظة على منزلتها السامية لتبقى « نصيراً للضعفاء ، عدوة للطغيان محافظة على حقوق اليونان » .

كان ديموستنيس سياسياً ذكيا بعيد النظر عرف نوايا فيليب الحقيقية وفهم موقفه من أثينا، وأدرك أنه مخادع يضمر فى نفسه شيئاً ويقول شيئا آخر ، يعلن أنه يسعى إلى التحالف مع أثينا ويفكر فى غزوها والقضاء على استقلالها لذلك وهب ديموستنيس نفسه لمهاجمته وإعلان الحرب عليه واعتبران هذه رسالة فى عنقه يجب عليه تأديتها لإنقاذ اليونان والمحافظة على حريتهم . لذا كانت خطبه السياسة ، التى خلدت اسمه ، تفيض وطنية وتمتلىء حماساً . وكانت فصاحته من الطراز الأول ترجمت عن إحساساته المتأججة وعواطفه القوية ، وكانت خطبه تمتاز بالطابع العملى والحيوية التامة. ولم يكن ديموستنيس يعتمد على الألفاظ المنمقة أو العبارات الرنانة للتأثير فى نفوس سامعية ولكن خطبه كانت تستمد قوتها من آرائه السديدة وأفكاره الصائبة ، وتؤثر فى الناس بما تعبر عنه من إيمان بالمبادىء التى يعتنقها ديموستنيس وإخلاص للسياسة التى يدافع عنها . وامتازت خطبه أيضاً بلغتها الأتيكية النقية التى لم تحتو على ألفاظ بالية أو صور شاعرية أو كلمات غير مألوفة ، ولكن الخطيب كان يختارها من بين الكلمات

المألوفة سواء أ كانت أدبية راقية أم عامية شائعة،وكان يستعمل الاستعارات الجريئة و يلجأ إلى الصور الفاتنة والتشبيهات الدقيقة لتزيد من قوة أسلوبه وتكسبه حيوية وحماساً . وكان لا يتقيد فى تركيب عباراته بأى قيد ولا يفكر فى صياغتها فى قالب معين . فهى تارة قصيرة عنيفة ، وتارة طويلة هادئة . وكان ديموستنيس يحب التنوع ولا يلتزم القواعد الأولية لذا قيل عنه «إنه لم يتبع إلا قاعدة واحدة وهى أنه لم يخضع أبداً لأية قاعدة» . وفى الموضوع أيضاً كان لا يتقيد إلا بالمنطق السليم ولا يعتمد إلا على الحجة القوية ليقنع المستمعين ، وكان لا يمل من تكرار الفكرة وترديدها حتى تتغلغل فى نفوس الحاضرين . وكان يتفنن فى عرض الرأى فى صور مختلفة : يعرضه مرة فى شكل سؤال يحتاج إلى تفكير ، و يقدمه مرة أخرى فى صورة حوار يخاطب السامعين فيه و يشركهم معه ، ومرة يقوى رأيه بذكر حديث قصير يحتوى على بعض الحقائق التاريخية والمقارنات المثيرة ، أو بتصوير شخصيات أعدائه تصويراً دقيقاً (ايسخينيس ، فيليپ) . وكان ديموستنيس يختلف عن الخطباء الآخرين فيبدأ الخطبة بمقدمة موجزة سريعة يستولى بها على انتباه السامعين ثم يعرض العناصر الأساسية لموضوعه و يسرد الأفكار الرئيسية بوضوح ، ولكنه كان يحب الإشارة إلى نهاية الخطبة و يذكرها من وقت لآخر و يرددها على مسامع الحاضرين قبل شرح

التفاصيل ، ولذلك كان يخرج عن الترتيب التقليدى لأجزاء الخطبة الذى كان يتبعه غيره من الخطباء (المقدمة ثم الموضوع ويتضمن سرد الوقائع والاقتراحات والأدلة ثم الخاتمة) لأن ديموستنيس لم يكن مثلهم يحب المظهر الخارجى أو الزخرف العرضى ، بل كان لا يتقيد بأى شىء من ذلك طالما قد اطمأن إلى التأثير على سامعيه وإقناعهم بما يريد .

لم يشتهر ديموستنيس بروعة إنتاجه فحسب بل بخصوبته أيضاً . فقد وصلتنا تحت إسمه فى المخطوطات القديمة إحدى وستون خطبة وست رسالات وأربع وخمسون قصيدة ، ومع أن النقاد المحدثين تشككوا فى نسبة الرسالات والقصائد وبعض الخطب إليه ، فإنهم أجمعوا على أنه ألف أربعين خطبة . ولقد أشرنا فيما سبق إلى أهم خطبه القانونية التى كتبها ضد أوصيائه والتى ألفها للمتقاضين ، أما خطبه السياسية فاشهرها خطبته « عن اللجان البحرية (٣٥٤ ق. م) والفيليپيات الأربع (٣٥١—٣٤١ق.م) والأولونثيات الثلاث (٣٤٩ — ٣٤٨ ق . م) وخطبته « عن التاج » (٣٣٠ ق . م) .

وتُعزى شهرة خطبته عن اللجان البحرية إلى أنها أول خطاب سياسى ألقاه أمام الجمعية العمومية عند مناقشة العلاقات بين فارس وأثينا . فكان يوجد بين الأثينيين فريق يخشى الفرس ويعتقد أن ملكهم يتأهب لغزو

ديارهم فأخذوا يثيرون الشعب ويذكرونه بانتصارات اليونان الباهرة فى ماراثون وسلاميس ويهيبون به أن يخرج لمقاتلة هؤلاء البرابرة ، لكن رأى ديموستنيس بثاقب فكره أن هذه سياسة خرقاء قد تدفع بالأثينيين إلى التهلكة فأخذ يهدىء من ثورتهم وينصحهم حتى نجح فى حملهم على الإعراض عن محاربة الفرس ، وانتهز ديموستنيس هذه الفرصة وطالب بإصلاح الأسطول وتقوية سلاح الفرسان والمدفعية الثقيلة حتى يتمكن الأثينيون من مواجهة الغزو المقدونى .

أما الفيليبيات والأولونثيات فهى مجموعة من الخطب تعطينا صورة عن الجهاد المستمر الذى أعلنه ديموستنيس طيلة حياته وكافح من أجله حتى لفظ أنفاسه الأخيرة عام ٣٢٢ ق . م . وفى هذه الخطب لم يأل جهداً فى توجيه النصح لمواطنيه وحثهم على العمل المتصل: « عليكم يا رجال أثينا ألا تيأسوا من حالنا هذه وإن بدت سيئة للغاية ، لأن أسوأ ما مرت به فيما مضى سيكون مصدر النصر فى المستقبل. إنكم تخاذلتم عن واجبكم فساءت أحوالكم، فعليكم أن تفهموا العدو أنكم قد طرحتم عنكم هذا الإهمال الذى زاد عن كل حد » .

وكان ديموستنيس يعتقد أن تقوية الجيش والأسطول لازمة وأن الاعتماد على المرتزقه لا يحقق النصر ، لذا كان يطالب قومه بأن يهتموا بتعزيز

القوات الحربية والبحرية ، ويسارعوا إلى الانخراط فى سلك الجندية : « أناشدكم يا أهل أثينا أن تفكروا ملياً فى كل واجباتكم . احزموا أمركم والهبوا مشاعركم ؛ افرغوا للحرب الآن وإلا فلن تستطيعوا أبداً . إجمعوا تبرعاتكم عن طيب خاطر ، أخدموا بأنفسكم ، تطوعوا فى الجيش ولا تغفلوا شيئاً مطلقاً فلا عذر لكم للتخلى عن واجبكم » . ولعل اهتمام ديموستنيس بتقوية الجيش يرجع إلى خوفه من العدو وخطورته لأنه كان يعتقد أن فيليپ كان رجلا شريراً مخادعا ، يذعن حينا عندما ينفع الإذعان ويهدد أحيانا وينجح فى تهديداته ، لذا كان يحذر الأثينيين منه ويحضهم على محاربته : « أنظروا كم تمادى فيليپ فى اللؤم فهو لا يترك لنا الخيار فى أن نحارب أو لا ، ولكنه يتوعد ويتشدق بكلام أجوف وليس ممن يقنعون بما أخضعوا من بلاد ، ولكنه يحرز كل يوم نصراً جديداً ويضرب حولنا نطاقا ونحن قعود مرجئون » .

وعندما اقترح كتسيفون (Ctesiphon) عام ٣٣٠ ف . م تقديم تاج ذهبى لديموستنيس تقديراً للخدمات التى أداها للدولة ، انبرى له الخطيب ايسخينيس وكان من ألد خصوم ديموستنيس وعارض الاقتراح وقال إن ديموستنيس لا يستحق أى تمجيد فما كان من هذا إلا أن ألقى خطبته « عن التاج » فند فيها ادعاء خصمه وحمل عليه حملة عنيفة ودمغه بالخيانة

كما سبق أن اتهمه بالرشوة وعدم الثبات على المبدأ فيما يتعلق بموقفه من بلده وقارن بين ماضيه وماضى أيسخينيس السياسى فى مقطوعات رائعة ، وكان من السهل عليه أن يفتخر بوطنيته ومواقفه الخالدة من أجل اليونان وأثينا ضد فيليپ ومقدونيا . وأن يثبت فساد الرأى الذى كان ينادى به عدوه دائما وهو مهادنة فيليپ والسعى إلى محالفته والاتفاق معه وأن يدلل على أن ايسخينيس كان يهدف من وراء هذه الفكرة إلى انتصار الملك المقدونى على اليونان و إخضاعهم له . وهكذا نجح ديموستنيس فى إدانة خصمه فحكم عليه بدفع غرامة كبيرة لم يستطع دفعها فأرسل إلى المنفى بسبب عجزه عن تأديتها . وتعتبر هذه الخطبة من أروع مؤلفات ديموستنيس ، بلغ فيها أقصى درجات السمو فى البلاغة والفصاحة واستحق عليها ثناء النقاد وعلماء البيان جميعاً. ومما زاد فى جمال هذه الخطبة أن الخطيب عرض فيها بمنتهى الأمانة والوضوح سياسته ضد مقدونيا واعترف بفشله الذى أرجعه إلى سوء الحظ و إلى الخيانة الداخلية ، ورغم هزيمته كان راضياً عن نفسه وعن مواطنيه لأن الجميع قد أدوا واجبهم ولم يقصروا عندما خاضوا معركة الحرية ضد مقدونيا . و إن كان ديموستنيس قد مات مغلوباً على أمره ، فكفاه فخراً أنه كان زعيم أثينا الأول فى أشد محنة انتابتها ولسان الديمقراطية الناطق الذى ظل يدافع عنها حتى لفظ أنفاسه الأخيره ، ولقد أثبت فى هذه الأوقات العصيبة أنه أعظم

ساسة أثينا ، امتاز بوطنيته الصادقة وشجاعته النادرة وصراحته البالغة . كان يحرص دائماً على قول الحق ولو ضد أعوانه لأنه لم يكن زعيما مهرجاً أو سياسياً مشعوذاً بل كان رجلا بكل معانى الكلمة ، كان يقدر جسامة مسؤليته و يؤمن برسالته السامية و يضحى فى سبيل تحقيقها بنفسه وما ملكت يمينه ،فإن فشل لظروف خارجة عن إرادته فهذه ليست جنايته لأنه لم يهن ولم تلن قناته بل ظل صامداً رغم حملات خصومه المغرضة واتهاماتهم الكاذبه التى لم تستطع أن تنال من نزاهته أو تصرفه عن الاستمرار فى تنفيذ سياسته .

ومهما يكن من الأمر فإن اختلاف النقاد والمؤرخين القدماء فى الحكم على ديموستنيس كزعيم سياسى لم يمنعهم من الاعتراف بأنه أعظم خطباء اليونان . ولقد أخذ المحدثون برأيهم بل ذهبوا أبعد من ذلك واعتبروه أشهر خطباء العالم أجمع .

الفصل الثامن

الفلسفة

لسنا بحاجة إلى القول بأن الفلسفة اليونانية كانت أقوى فروع المعرفة تأثيراً فى تاريخ الفكر الشرقى والغربى معا ، فقد سادت الشرق الأوسط منذ فتوح الإسكندر الأكبر وتغلغلت فى الغرب بعد انتصار روما على اليونان فى منتصف القرن الثانى ق . م . وتعتبر الفلسفة اليونانية أولى الفلسفات بالمعنى الصحيح لأن الأفكار الدينية والمبادىء الخلقية التى عرفتها مصر والصين وفارس قبل اليونان لم تكن تمت إلى الفلسفة بصلة ، ولم تنظر إلى ظواهر الكون نظرة باحثة مدققة ولم تطلب من العقل تفكيراً علمياً صحيحاً . فأراء الشرقيين عن نشأة الكون وحقيقة الوجود وأفكارهم عن الخير والشر تولدت عن ملاحظات عامة ودراسات سريعة قاموا بها لتعينهم على فهم الحياة وطرق العيش فيها ، ومن المحتمل جداً أن اليونان عرفوا هذه الأفكار ونقلوها عن الأمم الشرقية وخاصة عن مصر التى اتصلوا بها اتصالا وثيقاً . ومع ذلك فإليهم وحدهم يرجع الفضل فى بحث

هذه الموضوعات بحثاً دقيقاً وابتكار النظريات المختلفة لإثباتها والبرهنة عليها ، فهم أول من عرف التفكير الفلسفى الصحيح .

ولقد مرت الفلسفة اليونانية بثلاث مراحل : مرحلة تمهيدية نشأت فيها الفلسفة فى آسيا الصغرى بمنطقة أيونيا ، وكان شغل الفلاسفة الشاغل فى هذه الفترة (القرن السابع والسادس ق . م) هو تعليل وجود الكون ومعرفة أصله والمادة التى تكون منها ؛ مرحلة الازدهار (أوائل الخامس قبل الميلاد وأواخر الرابع) وبدأت بظهور السفسطائيين وعاش فيها سقراط وأفلاطون وأرسطو ؛ ثم تلا ذلك عصر التدهور والانحلال فى الفلسفة اليونانية .

ولما كان المجال لا يتسع للكلام عن جميع الفلاسفة الذين ظهروا فى هذه المراحل لذا رأينا أن نكتفى بدراسة عصر الازدهار لأنه أخطر هذه المراحل شأنا وأعظمها تأثيراً على الفكر الإنسانى .

* * *

يعزو المؤرخون والفلاسفة انتصار أثينا على الفرس إلى تمتع الأثينيين بالحرية وإيمانهم بها واعتقادهم بأن حريتهم وحرية وطنهم شىء واحد ؛ ولقد وصف المؤرخون الفرسَ بأنهم عبيد يخضعون لملك مستبد ، يأتمرون بأمره ويحاربون خوفا منه بينما كان الأثينيون الأحرار يقاتلون من أجل

الديمقراطية ، مثلهم الأعلى فى الحياة . ولقد أدى انتصار أثينا الباهر إلى انهيار الحكومات الارستقراطية وازدهار الديمقراطية فى جميع مدن اليونان ونتيجة لذلك قويت شخصية الفرد وضاعت هيبة السلطان وفقدت التقاليد القديمة احترامها وبدأ الفلاسفة يناصبون الدين العداء ويهاجمونه ويسخرون منه ، وآمن الشباب بحرية الفكر إيمانا شديداً واعتقدوا أن من حقهم تحطيم القوانين والخروج على المبادىء الخلقية فشاع الجدل ونشأت الحاجة إلى تعلم الخطابة وأساليب الإقناع حتى يتمكن الشباب من مناقشة جميع المشاكل التى تعترضه .

وظهر السفسطائيون فى ذلك الوقت وملئوا النصف الثانى من القرن الخامس واشتغلوا أول الأمر بتعليم اليونان ليكونوا مواطنين صالحين ، لقنوهم أصول البلاغة وطرق الإلقاء (جورجياس) وعلموهم مبادىء السياسة (پروتاجوراس) وقواعد النحو والصرف (پروديكوس) ، وكان من الممكن أن نذكر هؤلاء المعلمين بالتقدير والإعجاب كما فعل أفلاطون فى بعض محاوراته ، ولكن ظهرت منهم فى أوائل القرن الرابع ق. م جماعة أخذوا يتنقلون بين المدن ويبحثون عن الشباب الثرى يعلمونهم نظير أجور باهظة ، وكانوا ينتهزون فرصة المهرجانات الرياضية والأعياد اليونانية لإلقاء المحاضرات فى الأماكن العامة لقاء أجر للدخول ، فنزلوا بالعلم إلى مستوى

الحرف ولم يهتموا بقيمته الذاتية ؛ لم يؤمنوا بالحقائق المجردة ولا بالمبادىء الخلقية والاجتماعية وأصبحوا ينظرون إلى العلم على أنه مجرد وسيلة للإثراء ؛ أما المذاهب الفلسفية فتناولوها بالنقد وأثبتوا خطأها ، وأذاعوا التشكك فى الدين وسخروا من شعائره وتهكموا بالآلهة وعرضوا بهم ، ولقد قامت فلسفة السفسطائيين جميعاً على المبدأ الذى نادى به زعيمهم پروتاجوراس « إن الإنسان مقياس كل شئ » ، والمقصود بالإنسان هنا الفرد من حيث كيانه لا من حيث ماهيته ، ولما كان الأفراد يختلفون سناً و بيئة وشعوراً ، ولما كانت الأشياء التى تحيط بهم دائمة التغير لذا كانت الإحساسات متعددة بتعدد الأفراد وتعدد حالاتهم ، وعلى ذلك لا يوجد شىء ثابت يمكن أن يسمى أو يوصف و بالتالى لا توجد حقيقة مطلقة لأن كلمتى الخطأ والصواب لا معنى لهما فليس هناك ما يسمى حقاً فى ذاته ؛ ولقد طبق السفسطائيون هذا المبدأ على الأخلاق والسياسة ، فأنكروا وجود قانون عام للأخلاق يخضع له الناس جميعاً ، و إنما المسألة فى رأيهم ترجع إلى إحساس الشخص نفسه ، فما يراه حقاً فهو حق ، وما يريد عمله فعمله مشروع وأنكروا أيضاً وجود قوانين عادلة وقالوا إن قوانين الدولة من عمل الضعفاء سنوها ليخضعوا بها الأقوياء ، فإذا بلغ الإنسان من القوة درجة تمكنه من الخروج على القانون من غير عقاب فله أن يخرج عليه ، فالقانون

والحق فى رأى السفسطائيين ما يريده القوى ، ومن ثم كانوا مثاراً لسخط الفلاسفة الذين عاشوا بعدهم وموضعاً لانتقادهم وصار اسمهم مسبةً على مر العصور واشتقت منه كلمة « سفسطة » وأصبحت تستعمل فى الدلالة على التلاعب بالألفاظ والتهريج فى الحجج وخداع المنطق وتمويه الحقيقة . وكان من آثار السفسطائيين أن عمت الفوضى وانهارت المثل وذهب كل فرد فى إدراك الفضيلة والرذيلة مذهباً يناسب هواه وفسر الخير والشر تفسيراً يتفق وميوله ، ولكن سرعان ماسئم الأثينيون هذه الفوضى وتحولوا عن السفسطائيين ، خاصة عندما ظهر سقراط وانبرى لهم وهاجم تعاليمهم مهاجمة عنيفة فقضى عليها قضاء تاماً .

— ١ —

سقـــراط

ولد سقراط بأثينا فى أوائل مايو سنة ٤٧٠ ق . م من رجل فقير كان يعمل فى صناعة التماثيل ، ولـكن الفقر آنئذ لم يكن سببا فى الحرمان من التعليم الذى كان حقا مشاعاً تـكفله الدولة للجميع وتستعين به على خلق المواطنين الصالحين لخدمة الوطن ، فـكانت تلتزم بأن تمـكن لأبنائها معرفة قدر كاف من الثقافة العامة والتاريخ القومى ، وتعلمهم الموسيقى والألعاب الرياضية والتمرينات العسكرية . ولقد أفاد سقراط من هذا التعليم فنشأ وطنيا صادقا وجندياً باسلاً أبلى بلاء حسنا فى الحروب البيلوبونيسيه وأثبت ، كما يقول أفلاطون ، « أنه أشجع زملائه الجنود وأكثرهم صبراً وأقواهم احتمالا على مكاره الحروب » .

ولـكن شابا موهوبا ، مثل سقراط ، لم يكن ليقنع بالتعليم العام بل أخذ يغذى عقله ويهذب نفسه بكل أنواع المعرفة ، خاصة وقد عاش فى أزهى عصور الحضارة اليونانية ، فأتيحت له الفرصة لأن يعاصر بركليس العظيم وأن يشاهد المسرحيات الرائعة التى نظمها سوفوكليس واريستوفانيس وأن يتتلمذ على أناكسا جوراس ، وأن يفيد من مناهج البحث عنـد

السفسطائيين . فاحب الحكمة وأخذ يسعى إليها بشتى الوسائل ، ثم تخصص فيها واعتبرها رسالته فى الحياة ، وساعده على النجاح فى تفكيره الفلسفى مواهبه الخلقية والعقلية ، فكان عادلا لم يظلم أحدا ، وكان حكيما لم يخطىء فى حكمه ، وكان مفكراً دقيق الملاحظة ، ورغم هذه المواهب كلها ، كان متواضعاً يعلن دائماً أنه لا يعرف شيئا وأنه ليس حكيما ولكنه «محب للحكمة» . ولما بلغ سقراط بعض ما يريد من المعرفة طلع على الأثينيين يناقشهم فيما يعلمه السفسطائيون من مسائل أدبية وخلقية واجتماعية ، فأخذ يرتاد أسواق أثينا ويتردد على ميادينها ويدخل حوانيتها ويجوب طرقاتها ، يتحدث مع كل إنسان ، لا يكترث بحال محدثه ، غنى أم فقير ، شاب أم شيخ ، أثينى أم أجنبى . وخصص سقراط كل وقته لتحقيق الرسالة التى كان يعتقد أنه قد وجد من أجلها وهى « أن يكون حافزا للشعب الأثينى ، يحمله على عمل الخير ، ويدفعه إلى التمسك باهداب الفضيلة » .

من أجل هذه الرسالة أهمل سقراط شئون منزله وأغفل أعماله الخاصة واعتزل السياسة وكره الاشتغال بها وازدرى المناصب وكرس وقته لإيقاظ الناس من نومهم ، وتحذيرهم من التمسك بالتقاليد البالية والآراء القديمة دون بحث أو تدقيق . وكان سقراط سعيداً برسالته التى أنزلها عليه الإله . ولقد لخص لنا أفلاطون قصة هذه الرسالة فى محاورة الدفاع عن سقراط

فقال إن خايريفون ذهب إلى معبد دلفى وسأل الإله أهناك من هو أحكم من سقراط ، فأجاب بأن ليس بين البشر من يفضله بحكمته ، فلما بلغت سقراط نبوءة دلفى ، ساءل نفسه ماذا يعنى الإله بهذا اللغز ، لأن سقراط كان يعلم أنه لا يملك من الحكمة شيئا ، ويعلم أيضاً أن الكذب ليس من طبيعة الإله . ففكر طويلا وانتهى به التفكير إلى ضرورة البحث عمن يكون أحكم منه حتى يستطيع الرد على نبوءة الإله . فقصد إلى سياسى عرف بحكمته وامتحنه ، ولكنه أيقن، بعد الانتهاءمن امتحانه ، أنه لم يكن حكيما ، على الرغم من اعتقاد الكثيرين بحكمته ، وعلى الرغم من إيمانه هو بهذه الحكمة ؛ وحاول أن يقنعه بجهله فغضب منه وشاركه فى غضبه كثيرون ممن حضروا المناقشة وسمعوا الحديث ، فتركه قائلا فى نفسه : إنه وإن كان يعلم أن كليهما لا يعرف شيئا عن الخير والجمال ، فإنه أحسن حالا من ذلك الرجل لأنه يدعى العلم وهو جاهل ، أما سقراط فلا يعرف ولا يدعى المعرفة .

ثم ذهب إلى شخص آخر وكان اكثر ادعاء فى حكمته ، وانتهى معه إلى نفس النتيجة ، فغضب منه ايضاً وغضب من أجله كثيرون ، وأخذ يذهب إلى الناس واحداً بعد الآخر ، فترك الساسة وقصد إلى الشعراء جميعاً ، وتحدث إليهم فيما جادت به قرائحم ، فادرك من حديثه معهم أنهم

لا ينطقون بشعرهم عن حكمة ، ولـكنه ضرب من النبوغ والإلهام ، ومع ذلك فإنهم يدعون الحـكمة . فتركهم وعرف أنه أعلى منهم شأنا وأنه يمتاز عنهم كما يمتاز عن الساسة ، وترك الشعراء وذهب إلى الصناع ، وكان يصل دائماً إلى نفس النتيجة التى تغضبهم منه . وبهذه الطريقة وبهذا التفسير أيقن سقراط أنه أحكم أهل زمانه .

لقد اتبع سقراط فى حديثه مع هؤلاء الناس منهجا جديداً فى البحث : كان يتصنع الجهل ، ويتظاهر بأنه يسلم بكلام محدثه ، ثم يلقى عليه الأسئلة ويشكـكه فيما يقول شأنه فى ذلك شأن من يحب الوصول إلى الحقيقة ، وكان سقراط يجارى محدثه حتى يوقعه فى التناقض ويحمله على الإعتراف بالجهل ، فإذا ما اعترف محدثه بالجهل وأصبح مستعداً لمعرفة الحق وقبوله ساعده سقراط على الوصول إلى الحقيقة عن طريق الأسئلة والاعتراضات التى كان يوجهها إليه مرتبة ترتيبا منطقيا . لقد أثار هذا المنهج حول صاحبه الإعجاب البالغ والعدواة الشديدة فى آن واحد : فبينما أقبل على سقراط كثير من الشبان يستمعون إليه ويؤثرون التحدث معه ، فقد كرهه الخطباء والشعراء ورجال السياسة لأنه كان يجادلهم ويكشف أمرهم ويثبت جهلهم ويجعلهم سخرية للناس فـكرهوه واتهموه بمختلف التهم .

وكان أول هجوم وجه ضده ، فيما نعلم ، هو هجوم الشاعر الهزلى ، أريستوفانيس ، وكان رجعيا يمقت حرية الفكر وينفر من كل تجديد ويكره السفسطائين أشد الكره واعتبر سقراط واحداً منهم فصوره فى رواية « السحب » تصويراً مضحكا ، أظهره على المسرح مهلهل الثياب ، عارى القدمين ، يتجول فى الطرقات ، يتصيد الناس ويزهقهم بأحاديته ، يقف ساعات طويلة غارقا فى تأملاته ، سابحاً فى خياله ، يتردد عليه تلاميذ ضعاف الأبدان ، صفر الوجوه ، فقراء ، يتعلمون عنده خليطا من العلوم المختلفة مثل الهندسة والطبيعة والفلك ، ويدرسون معه السماء وما فيها والأرض وما تحتها ويحللون كل شىء ؛ يُعلمون البيان ويدققون فى النحو ويبحثون فى أصول العروض ؛ ويمعن الشاعر فى التعريض بسقراط ، فيظهره بصورة تخالف الحقيقة تماما ، فسقراط ، فى رأيه ، مغرور ، يدعى الحكمة ، ويناقش أشهر الفلاسفة والشعراء والخطباء ويجادلهم فى فلسفتهم وعلمهم ، ويعتبر نفسه أحكم منهم جميعا . ثم يصوره الشاعر محلقا فى الفضاء يرصد السماء ، ويتهمه بالكفر بآلهة المدينة وبأنه يعلم تلاميذه كيف يجعلون الحق باطلا والباطل حقا ، وينادى الشاعر فى آخر مسرحيته بأن العدالة تتطلب حرق سقراط وتلاميذه ومدرسته .

لا شك أن رواية أريستوفانيس أثارت السخط ضد سقراط ، ونبهت

الأذهان إلى مهاجمته ولـكنها لم تكن السبب الوحيد فى محاكمته إذ لم يكن فى مقدور أريستوفانيس أن يمثل مسرحيته على مشهد من الأثينيين إلا إذا كان الشعب قد خلط بين سقراط و بين السفسطائيين وأن الرأى العام اتجه إلى معاقبته لأنه سئم تلك الطائفة وكره كل من ينتسب إليها ، ولسنا بحاجة إلى القول بأن الفرق عظيم بين سقراط و بين السفسطائيين من حيث الغرض والأسـلوب ونوع التفـكير ولـكن الشعب لم يفرق بين فلسفته و بين تعاليمهم ؛ هـذا إلى أن منهج سقراط فى البحث قد أغضب منه الحـكماء والعلماء أو بمعنى أصح الأدعياء فى الحـكمة والعلم ، كما أن مناصرته للحق عندما كان عضواً بمجلس الشيوخ وتنديده بالحرب وتأييده للسلم و إثارته للشعب ضد حكامه ، كل ذلك ألب عليه رجال السياسـة وزعماء الأحزاب وخاصة الرأسماليين منهم الذين كانوا يتجرون فى صنع الأسلحة و بناء السفن والمعدات الحربية ، تألبوا عليه وكرهوه لأنه أظهرهم بمظهرهم الحقيق و برهن على أنهم جماعة من المجرمين لا ضمير لهم لا يترددون فى إشعال الحروب وجلب الدمار على الشعوب ما دام فى ذلك تصريف لبضاعتهم وتنمية لثروتهم ، ولقد ندد بهم فى قوله : « إن راعى الغنم الذى يذبح جزءاً من قطيعه ، ويترك الجزء الباقى يموت جوعا يدهشنى تماما إذا لم يعترف بجرمه ، ويدهشنى أكثر منه الحـاكم الذى يُلقى بنصف

الشعب إلى الهلاك ويستغل النصف الآخر ، ثم هو لا يخجل من نفسه ولا يعترف بذنبه » .

غضب الساسة من هذا الكلام ، فانبرى منهم أنوتوس ، أحد كبار الرأسماليين ، الذى كان ابنه تلميذاً من تلاميذ سقراط ، وأصر على الانتقام من هذا الفيلسوف لأنه أفسد ابنه وجعله يتهكم ، على مسمع من أبيه ، بالآلهة التى يعبدها ، فأثار أنوتوس ضد سقراط شاعراً وخطيباً مغمورين « مليتوس ولوكون » وأغراهما بالمال ودفعهما إلى توقيع الدعوى التى أقامها ضده واتهمه فيها « بأنه ينكر آلهة أثينا وينادى بآلهة جديدة ويفسد الشباب بتعاليمه » . ونجح أعداء سقراط فى تقديمه للمحاكمة عام ٣٩٩ ق.م. ويظهر أن سقراط استخف بهذه المحاكمة ولم يعبأ بها ، ودليل على ذلك ما ورد عند ديوجنيس لأرتيوس الذى يحدثنا « بأن المحامى لوسياس أعد دفاعاً مجيداً عن سقراط وذهب إليه وقرأه على مسامعه ، وبعد أن انتهى من قراءة دفاعه ، قال له سقراط إن كلامك جميل ولكنه لا يوافقنى ، حقاً إن أسلوبك ممتاز ، ولكنه لا يليق بالحكماء ، فعجب المحامى من رده وطلب إليه أن يوضح كلامه ، فأردف سقراط قائلا : أو من المستحيل ياصديق ، أن أجد أحذية جميلة ممتازة الصنع ، ومع ذلك لا أستطيع استخدامها ؟ » . ويروى لنا كسنفون أيضاً « أن شخصاً طلب إلى سقراط

أن يهتم بإعداد الدفاع عن نفسه ، فقال له : « ألا تعلم ، يا بنى ، أن كثيراً من الأبرياء ماتوا ضحية اعتزازهم بكرامتهم أمام القضاه ، وأن هؤلاء برءوا كثيراً من المجرمين لأنهم تضرعوا إليهم وطلبوا الرحمة أو لأنهم سحروهم ببيانهم وفصاحة كلامهم ؟ ومهما يكن من أمر هاتين الروايتين ومدى صحتهما ، فقد وصلتنا نصوص كاملة من مؤلفات أفلاطون وكسنفون تشرح لنا موقف سقراط من قضاته وتصف لنا المحاكمة ، ونعرف من هـــذه النصوص أن المحكمة كانت تتألف من خمسمائة من المحلفين اختيروا بالقرعة من بين الأثينيين ، وافتتحت الجلسة بتلاوة الدعوى المقامة ضـد سقراط ، ثم طلب إليه المحلفون أن يدافع عن نفسه .

فبدأ ، كما يحدثنا أفلاطون ، بالاعتذار عن أسلوبه الذى لازخرف فيه ولا طلاء ، وقال إنه لا يحب البلاغة ولا يعرف أبلغ من الحق ، وبعد ذلك أخذ يفند كلام أريستوفانيس الذى اتهمه ، كما رأينا ، بأنه من الفلاسفة الطبيعيين ، وأنه يتقاضى أجراً عن التعليم ، وأنه يفسد الشباب . وردسقراط هذه التهم بأن أعلن صراحة أنه لا ينتمى للفلاسفة الطبيعيين ولا للسفسطائيين وأكد بقوة أنه لا يتصل بالفلسفة الطبيعية بسبب من الأسباب ولا يعرف عنها الكثير ولا القليل ، أما الادعاء بأنه يتقاضى أجراً من تلاميذه فباطل ليس فيه من الحق أكثر مما فى الاتهام السابق لأنه لا يعرف شيئاً حتى

يعلمه ويتسلم عنه أجراً. أما اتهامه بإفساد الشباب، فقال إنه فرية، ثم وضح كيف التف حوله الشبان وسعوا إليه بمحض إرادتهم ووجدوا متعة فى امتحاناته للجهلاء المدعين ، وأحسوا بأنه يشجعهم ويهتم بأمرهم ، ثم قال أما إننى علمت الكفر بالآلهة وناديت بآلهة جديدة فهـذه تهمة لا أساس لها من الصحة إذ أنكم ، أيها القضاه ، لم تبلغوا من الجهل حداً لا تعرفون معه أن تلك آراء أنا كساجوراس تملأ كتبه ، ولقد عرفها الشبان من المسرح الذى يترددون عليه .

لا شك أن تفنيد التهم كان أمراً يسيراً على سقراط لأنها كانت مزيفة ولأنه كان بريئاً منها بالفعل . وكنا نود أن نتتبع دفاعه نقطة بعـد نقطة لنبين براعته وقوة حجته ، ولكننا سنكتفى بالأشارة إلى الجزء الذى يوضح لنا مدى إيمانه برسالته وتمسكه بأدائها .

لقد كان فى مقدور سقراط أن يتجنب كل المصاعب التى خلقها لنفسه وأن يتحاشى المحاكمة بأن يكف عن نقد الناس ومهاجمة الزعماء، وكان فى مقدوره أيضاً أن يستدر رحمة القضاه وأن يتوسل إليهم كما كان يفعل غيره ، ولكنه أراد أن يبقى مثلا للتضحية من أجل الواجب ورمزاً للثبات على المبدأ. ولا أدل على ذلك من قوله للقضاة «يا رجال أثينا ، إن حكمتم ببراءتى فلن أغير من سيرتى لكنى سأستمر فى أداء رسالتى لأن هذا هو واجبى ولا ينبغى أن أتخلى عنه

ولو أدى ذلك إلى الموت ، فالرجل الخير لا ينبغى أن يتدبر أمر حياته أو موته ، ولا يجوز أن يهتم إلا بما يقدمه من خير للناس . لذلك سوف لا أستجديكم أيها الأثينيون ، ولا أطلب الرحمة منكم ، ومع أنى كسائر البشر خلقت من لحم ودم ، ولى زوجة وأولاد ، فلن أحضرهم أمامكم ، كما يفعل غيرى ، ليتوسلوا إليكم و يطلبوا براءتى . وأنا لاأفعل ذلك اعتداداً بنفسى أواحتقاراً لكم بل لاعتقادى بأن مثل هذه التصرفات تقلل من قدرى وتحط من شأنكم وتجلب العار على أثينا . هذا إلى أننى أعتبر أن من الحماقة استجداء القاضى بدل اقتناعه ، فليس على القاضى أن يمنح العدالة ولكن عليه أن يكون عادلا ، لا يتبع هواه . لذلك أترك أمرى للإله ولتحكموا بما هو خير لى ولكم » .

وهكذا أنهى سقراط دفاعه وتمسك بموقفه وأصر على رأيه ، فحكم عليه القضاة الآثمون بالموت بأغلبية ضئيلة . ومع أن القانون الأثينى كان يبيح للمتهم مناقشة الحكم الذى صدر ، واقتراح العقاب الذى يرتضيه ، فإن سقراط لم يفعل ذلك ، بل قبل الحكم راضياً ، رابط الجأش .

ولما طلب إليه القضاة التعقيب على الحكم ، استطرد قائلا : أيها الأثينيون لقد حكمتم علىَّ بالاعدام ، وهذا لا يحزننى ، بل يسعدنى أننى انتصرت على أعدائى ، وانتصرت لأن الأصوات كادت تتعادل وكفة

البراءة كادت ترجح لو انضم إلى مؤيديها ثلاثون فقط ومع أن الناس يعدون الموت أكبر الشرور وأقساها ، فأنا أخالفهم فى ذلك وأفضل أن أموت حراً على أن أعيش عبداً . لم يبك سقراط إذن ولم يرتجف ، بل أشاد بحرية الفكر ، وآمن بها كل الإيمان فافتداها بروحه وسجل لنفسه الفخر بأن كان أول المستشهدين فى سبيلها .

و بعد انتهاء المحاكمة سيق سقراط إلى السجن و بقى به ثلاثين يوماً ينتظر انتهاء موسم الحج الذى كان ينص القانون على ألا تدنس المدينة أثناءه بالقتل . وقضى سقراط هذه الأيام راضياً مطمئناً ودليل ذلك أنه نظم فى تلك المدة قصص إيسوپوس شعراً وألف نشيداً لأپوللون وكتب أسطورة مغزاها « لا يجب سؤال الرعاع عن معنى الفضيلة » .

وكان تلاميذ سقراط يترددون عليه فى السجن ، يحاولون إغراءه بالفرار ، و يلحون عليه فى ذلك ، ولكنه أبى أن يهرب لأنه رأى فى ذلك خروجاً على قوانين الدولة ولم يكن مثله ليخرج عليها .

وفى ذلك يقول لتلميذه كريتون الذى ألح عليه فى الهروب : « ياصديقى إن صوتاً يهمس فى أذني و يمنعنى من أن أستمع إلى أى صوت سواه ، هذا الصوت هو صوت القوانين تطلب منى أن أفكر فى احترامها قبل أن أفكر فى حياتى وحياة أبنائى وتأمرنى بألا أرد الشر بمثله ، فانقض ما قطعته على

نفسى من عهود » . ولما حل موعد تنفيذ الحكم ، دخل عليه حارس السجن وقدم له ، فى حضرة تلاميذه ، كأس السم المميت ، فتناولها وشربها كلها ، دون تردد أو فزع ، ولما انفجر تلاميذه فى البكاء ، نهرهم بقوله : « ما هذا العويل ، لقد صرفت زوجتى وقريباتى حتى لا أسمع ذلك » . فخجل تلاميذه من أنفسهم وسكتوا . وبعد لحظات لفظ سقراط أنفاسه الأخيرة ومات بعد أن أدى رسالته واستحق وصف أفلاطون له « بأنه أحكم الناس وأكثرهم عدلا وأكبرهم فضلا » . ويؤيد ذلك أن الأثينيين أدركوا شناعة الجرم الذى ارتكبوه بإعدام سقراط وسارعوا إلى التكفير عنه ، فأعلنوا الحداد العام فى الميادين والملاعب ونادوا بمعاقبة خصومه الذين أقاموا الدعوى ضده فأمروا بنفى أنوتوس وحكموا بالموت على مليتوس . أما سقراط فأقاموا له التماثيل ومجدوا ذكراه بشتى الطرق ، فتغنى به الأدباء فى مؤلفاتهم ، وخلده المؤرخون فى كتبهم وألهه الفلاسفة فى محاوراتهم .

وليس ذلك بكثير على أول من أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض كما قال عنه شيشرون لأن سقراط كان يؤمن بأنه لا خير فى معرفة تهمل النفس الإنسانية لتعنى بالطبيعة تبحث عن أصلها وعلتها ، ولا قيمة للرياضيات والطبيعيات إذا قيست بمعرفة الإنسان أو بعبارة أخرى بمعرفة الأخلاق باعتبارها أهم ما يهم الإنسان ، وكانت فلسفة سقراط تدور حول مركزين :

نظرية المعرفة التى تحصر العلم فى الإدراكات العقلية والمعانى الكلية دون الإدراكات الحسية والمعانى الجزئية ونظرية الأخلاق التى توحد بين الفضيلة والعلم ، وكان لنظريته الأولى أثر عميق فى مصير الفلسفة فقد أحدثت فيها انقلابا خطيراً فهى الأساس الذى قامت عليه كل المذاهب العقلية المثالية وهى المصدر الذى رجع إليه أفلاطون وأرسطو . فليس بعجيب إذن أن نعتبر سقراط أبا الفلسفة الروحية وشهيد مبادئها المثالية .

— ٢ —

أفلاطون

ولد بأثينا (عام ٤٢٩ — ٤٢٧ ق . م ؟) من أسرة ارستقراطية على جانب كبير من الثراء ، تعلم فى صباه مبادئ القواعد والنحو والموسيقى ، وقرأ شعراء اليونان وخاصة هوميروس واهتم بالعلوم وأظهر ميلاً خاصاً للرياضيات ، ونظم بعض الأشعار ثم أحرقها ، ودرس الفلسفة على كراتولوس أحد أصدقاء سقراط وعندما بلغ العشرين تقريباً تعرف على سقراط وأصبح أحد تلاميذه وأصدقائه المخلصين ، لذا كان لتعاليم سقراط وأسلوبه تأثير كبير على أفلاطون الذى أعجب بأستاذه إعجاباً شديداً عبر عنه فى محاوراته العديدة . وبعد موت سقراط تفرق تلاميذه وغادروا أثينا خوفاً على حياتهم ، فذهب يوكليديس إلى ميجارا وأنشأ بها مدرسة لتعليم الفلسفة ولحق به أفلاطون وقضى معه وقتاً غير قصير ثم تركه وقام بأسفاره العظيمة . فزار مصر ويظهر أنه مكث بها وقتاً طويلا لأنه يذكرها فى مواضع كثيرة من مؤلفاته ولا سيما الجمهورية والقوانين ، ولعل ذلك يؤيد الرأى القائل بأن أفلاطون استفاد من رحلته إلى مصر ، بعد ذلك رحل إلى برقة وجنوب إيطاليا حيث ألمّ بتعاليم الفيثاغوريين وذهب إلى صقلية وأقام

فى بلاد الطاغى ديونوسيوس الذى سرعان ما ضاق بتعاليم الفيلسوف الأخلاقية فغضب عليه وعرضه فى سوق الرقيق لكى يباع فى المزاد لولا أن افتداه رجل كان قد عرفه فى برقة ، بعدئذ رجع أفلاطون إلى أثينا وأقام بها ولم يغادرها إلا فى فترتين قصيرتين ذهب أثناءهما إلى سيراكوز عام ٣٦٧ ، ٣٦١ ق . م . وعندما استقر الفيلسوف فى أثينا كرس نفسه لتعليم الفلسفة واتخذ لذلك مكاناً هادئاً يقع فى الشمال الغربى من أثينا وأنشأ فيه الأكاديمية حيث خصص كل وقته لتحقيق الرسالة التى وضعها لنفسه وهى كتابة مؤلفاته وتثقيف الشباب وتوجيههم نحو المثل العليا فى العدالة ، وقضى بقية حياته فى أداء تلك المهمة حتى مات عن ثمانين عاماً تقريباً .

وكان يقيم أفلاطون فى الأكاديمية بتعليم جميع فروع المعرفة يعاونه فى ذلك عدد من العلماء يدرسون كل ما يتعلق بتراث الفكر اليونانى منذ هوميروس إلى سقراط ، ويعلمون تلاميذهم الرياضيات والفلك والموسيقى والبيان والأخلاق والسياسة والتاريخ ، وكانت تعقب هذه الدروس ندوات لمناقشة الآراء المختلفة وتمحيصها كما يتضح ذلك من محاورات أفلاطون .

وتنقسم هذه المحاورات إلى ثلاثة أقسام وتختلف فيما بينها من ناحية الأسلوب والموضوع لأن أفلاطون كتبها فى فترات متباعدة .

ففى الفترة التى تعرف فيها على سقراط قبل موته بثمانية أعوام كتب المجموعة الأولى من محاوراته التى يسميها بعض النقاد بالمحاورات السقراطية لأن سقراط هو أهم الأشخاص الذين يظهرون فيها يلتف حوله الفسطائيون والفلاسفة والشعراء والساسة ، يناقشهم فى مختلف الموضوعات ويعبر عن آرائه وقد امتزجت بآراء أفلاطون حتى أننا لا نستطيع التمييز بينهما، ولكن من الواضح أن هذه المحاورات فى مجموعها تحتوى على فلسفة سقراط لأن أفلاطون لم يكن قد بلغ من النضوج الفكرى ما يساعده على ابتكار فلسفة خاصة به ، ومع ذلك فإن فضله عظيم فى هذه المحاورات لأنه كتبها بأسلوب أدبى رائع يمتاز بالسلاسة والصفاء ويفيض بالعبارات الفنية الواضحة وأهم هذه المحاورات « دفاع سقراط » الذى القاه أمام المحكمة ، و «يوثوفرون» التى يستعرض فيها موقف سقراط من الدين ، و« پروتاجوراس » و يتكلم فيها عن السفسطائى ومهمته والفائدة من تعاليمه و « جورجياس » و ينتقد فيها علم البيان الذى كان يتخذه السفسطائيون وسيلة للاثراء ، و « ايون » ويشرح فيها نظريته عن الشعر ومصدره .

بعد كتابة هذه المحاورات غادر أفلاطون أثينا وقام برحلاته التى أشرنا إليها سابقا ، وعندئذ كتب مجموعة أخرى من مؤلفاته ضمنها ، إلى جانب آراء سقراط ، أفكار فلاسفة آخرين عرفهم أفلاطون أثناء تنقلاته ، مثل

آراء صديقة يوكاليديس الميجارى ، ومع ذلك فإن هذه المؤلفات تشير إلى أن أفلاطون بدأ يكون لنفسه فلسفة خاصة ، وأخذ يفكر فى وضع نظرية المثل ، ولكن يظهر أن الأفكار كانت ما تزال مضطربة فى ذهنه ، مهوشة غير واضحة ، لذا نراه يتعثر فى التعبير عنها ولا يستطيع شرحها شرحاً وافيا مما جعل هذه المؤلفات صعبة الفهم معقدة يغلب عليها الجفاف وأشهر هذه المؤلفات : « المأدبة » وفيها يحلل الحب الفلسفى و يشرح مذهبه فيه ، والجزء الأكبر من «الجمهورية» التى يصور فيها المدينة المثالية، و «پارمنيديس» و يشير فيها إلى نظرية المثل و ينتقد المذهب الإيلى نقداً علميا دقيقا .

و بعد رحلاته المتعددة عاد أفلاطون إلى أثينا وأنشأ الأكاديمية وألف بقية كتبه وتمتاز جميعها بالعمق والإتقان وفيها نرى أفلاطون وقد نضج تفكيره وأصبح فى مقدوره التعبير عن آرائه فى سهولة ووضوح وأهم هذه المؤلفات محاورة «السفسطائى» التى يتكلم فيها عن الفن وأقسامه ، والمعانى وأنواعها ؛ و «فيليبوس» و يتحدث فيها عن منهج البحث العلمى وعن اللذة والأخلاق ، وكتاب « القوانين» و يتكلم فيه عن التشريعات الدينية والمدنية والجنائية .

ونحن لسنا فى حاجة إلى تمجيد أفلاطون كفيلسوف فهو أول من أنشأ فلسفة جامعة ونظاما شاملا لنواحى الفكر المتعددة لأن كل فيلسوف ممن سبقوه كان يتناول بالبحث جانباً واحداً من جوانب الحقيقة أما

أفلاطون فقد فكر فى كل ما أنتجه هؤلاء الفلاسفة ودرسه دراسة عميقة ثم قدم للعالم فلسفة جديدة مبتكرة تقوم على أربع نظريات رئيسية :

نظرية المعرفة التى يفند فيها مذهب السفسطائيين ، ونظرية المثل التى تبحث فى الحقيقة المطلقة ونظرية الطبيعة وتدرس ظاهر الوجود من حيث هو مادة تملأ المكان والزمان ونظرية الأخلاق وتتكلم عن واجبات الإنسان من حيث هو فرد ومن حيث هو عضو فى مجتمع ، وليس فى إمكاننا أن نتناول بالبحث والتحليل هذه النظريات فى كتاب عن تاريخ الأدب ولكننا نكتفى بعرض سريع لبعض الموضوعات التى تتصل بدراسة الأدب .

كان لأفلاطون رأى خاص فى الفنون ، فمع أنه كان فنانا ممتازا إلا أنه حمل على الفن ونظر إليه نظرة تتفق مع نظرة الفنان الحقيقية إلى فنه ، كان لا يؤمن مطلقا بنظرية الفن للفن وإنما الفن للأخلاق أى أنه يهدف إلى التعليم والتثقيف ، فالشعر يجب أن يحث الإنسان على فعل الخير ويصور الناس تصويراً ملائماً يجعل السامع أو القارىء يحذو حذوهم ، أما الشعر الذى لا يؤدى هذه المهمة فيجب أن يستبعد ولا يلقن لشباب المدينة الفاضلة لما يتركه من أثر سىء فى نفوسهم وأخلاقهم لأن الشعراء ، فى رأيه ، كانوا يستجيبون لرغبات شعبية دنيئة وينتجون آثاراً أدبية تافهة هدفها إشباع هذه الرغبات مما أفسد ذوق الناس وعلمهم الوقاحة ؛ ويعيب على

الشعراء أيضاً أنهم ينظمون شعرا بعيداً عن الحقيقة مثلهم مثل المصورالذى ينقل عن صورة أو شكل أمامه يقلده ، كذلك الشعراء ينقلون عن الحقيقة ويقلدونها بالكلام ، فيعيشون دائما فى دنيا الأوهام ويحاولون أن ينقلوا إليها قراءهم أو المستمعين إليهم ؛ لذا يؤكد أفلاطون أن الشعر غير مفيد لأنه يغذى العواطف ويجعلها تتحكم فى أصحابها فلا يستطيعون توجيهها توجيهاً صحيحاً .

وكذلك انتقد افلاطون فن الخطابة واستنكر البدع التى لجأ إليها الخطباء والمحسنات اللفظية التى استخدموها ليجعلوا الأسلوب براقا ، ويعيب عليهم أنهم لا يهتمون بالتعبير عن الحقيقة بل يعتبرون الخطابة فنا للإقناع يعتمد على التمويه والخداع واللغة المنمقة والبراهين الخطابية وغير ذلك مما يؤثر على جمهور الجاهلين ويدخل عليهم نوعا من المتعة المبتذلة التى لا تفيدهم فى شىء . وكان الفيلسوف يرى أن الإصلاح من شأن الخطابة لا يتم إلا إذا اهتم الخطيب بموضوع الخطبة وعالجه معالجة دقيقة وألم بأصول علم الكلام وكان ماهراً فى الإلقاء ، خبيراً بنفسية المستمعين ، وفى ذلك يقول : « كما أن الطبيب يهتم بطبيعة الجسم ، كذلك يجب على الخطيب أن يهتم بطبيعة النفس فيعرف حالاتها المختلفة وانفعالاتها المتغيرة والطرق العديدة للتأثير عليها والأوقات التى تستجيب فيها للتأثير » .

هذه بعض آراء أفلاطون فى النقد ؛ أما عمله الأدبى فيتلخص فى أن أفلاطون كان أول من جعل الحوار الأدبى فنا رائعاً ، ملأ محاوراته وعبر بواسطته عن أدق الأفـكار فى أسلوب فنى جميـــل وصفه الناقد ديونوسيوس الهاليكارناسى بأنه سهل طبيعى يمتاز بجاذبيته وصفائه الذى يشبه صفاء الجداول . ومما زاد فى روعة المحاورات براعة أفلاطون فى تصوير المجتمع فجاءت صورة صـادقة للعصر الذى كتبها فيه . ويحتل سقراط فى هذه المحاورات المنزلة الأولى ، نرى الناس يفدون إليه من مختلف الطبقات والثقافات يناقشونه فى كل ما يجول بخاطرهم ، يتحدثون إليه فى الطرقات ويجادلونه فى ساحة السوق وأمام الحوانيت . ولقد برع أفلاطون فى تصوير هؤلاء الأشخاص تصويراً حياً صادقا ، ورسمها بطرق مختلفة حتى أننـا لا نـكاد نجد بينها أى تشابه : منهم الفيلسوف والسفسطائى ، الشاب والشيخ ، الأثينى والأجنبى ، الصديق والخصم . ومن أهم الشخصيات التى خلدها أفلاطون شخصية « فايدروس» وهى نموذج لشاب أثينى ثرى جميل الصورة ، خجول محب للمعرفة ، مغرم بالخطابة ، يحب العلم للعلم ، وشخصية « فايدون » وتمثل الصديق الوفى والتلميذ المخلص الذى يؤمن كل الإيمان بسقراط يلازمه فى كل مكان ولا يتركه حتى يجرع كأس الموت ،وشخصيات بعض السفسطائيين مثل « بروتاجوراس وجورجياس » . وكان هؤلاء

الأشخاص يمثلون الأدوار التى يقومون بها فى الحياة ، وكان سقراط يقوم بالدور الأول و يدير الحوار بين الجميع ، يجاريهم فى الكلام تارة و يخالفهم تارة أخرى و يظل يناقشهم حتى يقنعهم بما يريد .

ولكن رغم شهرة أفلاطون الأدبية وجمال أسلوبه فإن مؤلفاته تحتوى على مقطوعات وصفها النقاد بالتعقيد والغموض . فديونوسيوس الهاليكارناسى الذى أثنى على لغة أفلاطون وأعجب بأسلوبه انتقد عددا من الفقرات التى وردت فى كتبه لأن عباراتها تتدفق تدفقا جارفا وتعتمد على الزخرف وتميل إلى المبالغة وتمتلىء بالكلمات النادرة والألفاظ الغريبة ، واتهمه أيضاً بالصنعة التى تظهر فى خطب جورجياس وتاريخ ثوكوديديس . و يبدو أن أفلاطون كتب هذه الفقرات قبل أن يتم نضوجه الفلسفى لذا كان لا يستطيع عرض أفكاره بوضوح بل كان يشرحها عن طريق الاستعارات والرموز ، و بذلك امتزجت عنده القلسفة بالأدب مما جعله يستخدم أسلوبا فلسفيا شاعريا ، اتصف بالغموض والتكلف ، لكن هذا لم يمنع النقاد من ذكر أفلاطون مع ديموستنيس على أنهما أحسن من كتبا اليونانية بأسلوب رائع جميل .

— ٣ —

أرســـطو

ولد عام ٣٨٤ ق.م بمدينة ستاجيرا ، إحدى مدن أيونيا التى كانت تقع فى الشمال الشرقى من شبه جزيره خالـكيدكا . وكان أبوه نيكوماخوس طبيباً للملك المقدوني أمونتاس الثانى جد الاسكندر الأكبر ، ويظهر أن نيـكوماخوس ورث دراسة الطب عن أجداده الذين انحدروا ، فيما يقال ، من سلالة أسكليبيوس، إله الطب والجراحة . وقضى أرسطو صباه فى البلاط المقدونى ولما بلغ السابعة عشرة ذهب إلى أثينا ليتم علومه ، وهنـــاك التحق بأكاديمية أفلاطون حيث تفوق على زملائه وأظهر ذكاء خارقاً وميـلا شديداً للبحث والإطلاع فسماه أفلاطون « العقل » و « القراء » وظل أرسطو بالأكاديمية ما يقرب من عشرين عاماً . ولما مات أستاذه عام ٣٤٧ ترك أثينا وذهب إلى آسيا الصـــغرى وأقام بها بضع سنوات حتى دعاه فيليپ ملك مقدونيا ليشرف على تربية ابنه الإسكندر ، فلبى الدعوة وذهب إلى البلاط المقدونى حيث أكرمه الملك وولى العهد إكراماً بالغاً وشجعاه على البحث ، وقام أرسطو بتعليم الأمير خمس سنوات ثم انتهت مهمة الأستاذ بتولى الإسكندر الملك بعد وفاة أبيه . عندئذ عاد أرسطو إلى

أثينا لأول مره بعد وفاة أفلاطون ، وأنشأ مدرسة سماها « لوكيون » وأسس مكتبة كانت الأولى من نوعها فى العالم القديم واستمر أرسطو يدير المدرسة و يعلم فيها ثلاث عشرة سنة وكثر عدد تلاميذه الذين لقبوا بالمشائين لأن الأستاذ كان يلقى عليهم الدرس وهو يمشى بينهم . وعندما مات الاسكندر عام ٣٢٣ ق.م آل الحكم فى أثينا لأعداء مقدونيا الذين اعتبروا أرسطو من أنصارها واتهموه بالالحاد ، فاضطر الفيلسوف إلى مغادرة أثينا وهو يقول : « لست فى حاجة لأن أهيىء لأهل أثينا فرصة جديدة للإجرام ضد الفلسفة » . وذهب إلى مدينة خالكس حيث مات عام ٣٢٢ ق . م عن ثلاث وستين سنة .

لم يكن أرسطو فيلسوفا فحسب بل كان عالما بفروع المعرفة المختلفة ، واسع الإطلاع كتب فى مختلف العلوم ووضع نظريات عديده فى النقد الأدبى وخاصة فى الشعر والخطابة وألف فى المنطق وما وراء الطبيعة والاخلاق والسياسة والتاريخ الطبيعى وعلم الحيوان والاقتصاد والظواهر الجوية ، و بلغ عدد مؤلفاته ، وفقاً لرواية القدماء ، ما يقرب من أربعمائة كتاب فقد الجزء الأكبر منها ، أما القلة التى بقيت فقد وصلتنا فى صورة مهوشة غير مرتبة و يظهران الفيلسوف لم يكن أتمها أو راجعها .

ولقد بدأ أرسطو بكتابة بعض المحاورات على طريقة أفلاطون

أشهرها «السياسى، السفسطائى، المأدبة ، فى البيان، فى العدالة، فى الشعراء ».
وقد ضاعت كل هـــذه المؤلفات لذا لا نعرف عنها إلا إشارات وردت فى المعاجم القديمة أو ذكرها النقاد فى كتبهم ، أما المؤلفات التى كتبها فى الثلاث عشرة سنة الأخيرة فقد بقى معظمها ، لم يكتبها أرسطو فى صورة محاورات بل صاغها فى قالب تعليمى ، ومن المحتمل أنها لم تـكن معدة للنشر لأنها تشبه المذكرات التى يعدها الأستاذ ليلقيها على تلاميذه وتـكون فى حاجة إلى مراجعة وتنقيح قبل الطبع ، لذا كان أسلوب هذه المؤلفات صعباً وفهمها عسيراً لخلوها من الشرح والتعليق ، ولـكنها تمتاز بالعمق والدقة لأن أرسطو كتبها بعد أن بلغ أقصى درجات النضوج الفـكرى . وأهم هذه المؤلفات كتب المنطق والأخلاق والسياسة والشعر والخطابة وسوف نكتفى بالـكلام عن الـكتابين الأخيرين لصلتهما بدراسة الأدب .

كتب أرسطو فى النقد الأدبي كثيراً من المقالات والأبحاث ، خصص بعضها للـكلام عن هوميروس وهيسيودوس وأرخيلخوس ويوريبيديس ، ومقالاته عن هؤلاء الشعراء تعرف « بالمشـكلات » أو « الشـكوك » لأنه كان يتعرض فيها للمعضلات التى تثيرها أشعارهم ويحاول أن يجد لها الحلول، وكانت هذه الابحاث تتضمن دراسة وشرحاً للـكلمات الصعبة وتعليقاً على الأبيات الغامضة وتوفيقاً بين الفقرات المتناقضة فى النص الواحد ، وكتب

أرسطو أيضاً كثيراً من الفصول التى تتصل اتصالا وثيقاً بدراسة الفنون والآداب ، أشهرها عن الجمال وعن الموسيقى وعن الصوت وعن الأسلوب الصافى . ولكن أهم ما ألفه أرسطو فى هذا الموضوع كتابه عن « فن الشعر » الذى كتبه بعد أن بلغ أقصى درجات النضوج الفكرى والعلمى ويظهر أنه أعده فى صورة محاضرات كان يلقيها على تلاميذه ويناقشهم فيها مما جعل الكتاب صعباً معقداً غير مرتبط الأجزاء ، ومع ذلك فقد كان وما زال يعتبر أهم ما كتبه القدماء عن الشعر والنقد الأدبى .

والكتاب ينقسم إلى قسمين رئيسيين يتحدث أرسطو فى أولهما (من الفصل الأول إلى الخامس) عن الشعر عامة ، فيعرفه ويعدد أقسامه ، ويتكلم فى الجزء الثانى (من الفصل السادس إلى آخر الكتاب) عن خصائص أنواع الشعر الرئيسية ، ويخصص جزءاً كبيراً للمأساة ، يتحدث فيه عن أجزائها وعناصرها والغرض منها ، وبعد ذلك يتناول بالبحث والتحليل لغة الشعر وأوصافها (٢٠ — ٢١) ثم يعرف وحدة الفعل فى الملحمة والمأساة (٢٣) ويذكر أوجه الشبه والخلاف بينهما . وفى الفصل الخامس والعشرين يضع أرسطو القواعد الأساسية للنقد الأدبى وتعتبر هذه أول محاولة فى تاريخ الآداب كلها ، وفى هذا الفصل يدافع أرسطو عن الشعراء الذين هاجمهم النقاد من قبله وينهى الكتاب (الفصل ٢٦) بالموازنة بين الملحمة والمأساة .

ويخالف أرسطو أستاذه فى تعريف الشعر وتأثيره ، فيعرف التقليد على أنه خلق جديد لأن الشاعر ، فى رأيه ، يبتكر صورة واضحة مستمدة من عناصر الحياة وقد اختلط بعضها بالبعض الآخر ، وهذه الصورة اللفظية تعبر عن طبيعة الإنسان الأزلية ، وتؤثر على نفسه تأثيراً طيباً فتطهرها من الهموم والأحزان وتبعث فيها الراحة والطمأنينة .

وألف أرسطو أيضاً كتاب الخطابة الذى يعتبر أدق وأهم ما وصلنا عن فن الخطابة اليونانية ، لايهتم فيه المؤلف بالكلام عن تاريخ هذا الفن كما فعل غيره من النقاد ، ولكنه يحلل الأفكار الرئيسية التى تعد أساساً للخطابة بأنواعها الثلاثة : خطابة المحافل ، الخطابة القضائية ، الخطابة السياسية ، ثم يستعرض الموضوعات المهمة التى يمكن أن يتناولها الخطيب ويذكر الوسائل التى تساعده على تقوية حجته و برهانه ، ويعتقد أرسطو أن نجاح الخطيب يعزى إلى قوة شخصيته ومتانة خلقه ومقدرته على فهم مشاعر المستمعين ، ويتهز أرسطو هذه الفرصة ويحلل أهم العواطف الإنسانية فى الأعمار المختلفة والظروف المتباينة ، وينهى الكتاب ببحث دقيق مفصل عن أسلوب الخطبة وتركيبها يعتبر أقوى وأعمق ما كتبه اليونان فى النقد الأدبى .

ولـكن رغم هذه النظريات الدقيقة التى وضعها أرسطوا فى النقد ، فإنه لم يعتن فى مؤلفاته بالشكل ، بل كان يهتم دائماً بالموضوع ولذلك كان أسلوبه خالياً من الزخرف لا يحتوى على العبارات الرشيقة أو الصور الجميلة أو المحسنات اللفظية، لـكنه كان جافاً غامضاً ركيكا يحتوى على تعبيرات ضعيفة واصطلاحات ينفر منها الذوق وألفاظ مستعملة فى غير معناها .

ومع ذلك فقـــد حاز أرسطو إعجاب القدماء والمحدثين الشديد بفضل إنتاجه الضخم الذى يمتاز بغزارة المادة وخطورة الموضوعات وتنوعها هذا إلى أن الـكتب التى ألفها فى مستهل حياته كانت مكتوبة بأسلوب جميل وصفه شيشرون « بأنه يتدفق كنهر من ذهب » .

* * *

المراجـــع

١ — دوائر المعـارف والقواميس :

1. **C. Daremberg & E. Saglio** : Dictionnaire des antiquités grecques et romaines, Paris, 1877-1919.
2. **P. Harvey** : The Oxford Companion to Classical Literature, Oxford, 1951.
3. **A. Pauly & G. Wissowa** : Real - Enzyklopaedie der Klassichen Altertumwissenschaft, Stuttgart, 1893 — 1926.

٢ — أشهر مجموعات النصوص اليونانية واللاتينية التى تحتوى على ترجمة مقابلة للنص :

1. **Collection des Universités de France, Les Belles Lettres, Paris.**
2. **The Loeb Series, London & New York.**

مراجع المقـــدمة

1. **C. Buck** : Introduction to the study of Greek Dialects, Boston, 1928.
2. **P. Decharme** : Mythologie de la Grèce antique, Paris, 1929.

3. **M. Gorce & R. Mortier** : Histoire générale des Religions, T.II., Grèce—Rome, Paris, 1948.

4. **P. Grimal** :La Mythologie Grecque,Paris,1953.

5. **A. Meillet** : Aperçu d'une histoire de la langue Grecque, Paris, 1935.

6. **J. Myres** : The Greek lands and the Greek people, Oxford, 1910.

7. ,, ,, : Who were the Greeks ? Berkeley, 1930.

8. **M. Nilsson** : History of Greek Religion, Oxford, 1925.

9. **E. Semple** : Geography of the Mediterranean Region, London, 1932.

مراجع الفصل الأول

1 **A. & M. Croiset** : Histoire de la littérature grecque, 5 vols., Paris, 1909 — 1928.

2. **H. Pernot** : D'Homère à nos jours, Paris, 1921.

3. **H. Rose** : A hand book of Greek Literature, London, 1942.

4. **F. Wright** : A hand book of later Greek Literature, London, 1932.

مراجع الفصل الثانى

1. **V. Berard** : Introduction à l'Odyssée, 3 vols., Paris,1925.
2. **C. Bowra** : Tradition and Design in the Iliad, Oxford, 1930.
3. **P. Mazon** : Introduction à l'Iliade, Paris, 1948.
4. **M. Nilsson** : Homer and Mycenea, London, 1933.
5. **J. Scott** : The Unity of Homer, Berkely, 1921.
6. **A. Severyns** : Homère,Le Cadre Historique, Bruxelles,1944.
7. ,, ,, : Homère, Le Poète et Son Oeuvre, Bruxelles, 1946.
8. ,, ,, : Homère, L'Artiste, Bruxelles, 1948.

مراجع الفصل الثالث

1. **A. Burn** : The World of Hesiod, London, 1936.
2. **P. Mazon** : Hésiode, Paris, 1944.

مراجع الفصل الرابع

1. **C. Bowra** : Greek Lyric Poetry, Oxford, 1936.
2. **J. Carrière** : Théognis,Poèmes Elegiaques, Paris,1948.
3. **A. Hauvette** : Archiloque, sa vie et ses poésies,Paris, 1905.
4. **T. Hudson Williams** : The Elegies of Theognis, London,1910.
5. **A. Jeanroy** : Les origines de la poésie lyrique, Paris, 1904.
6. **Margaret Goldsmith** : Sappho of Lesbos, London, 1938.
7. **G. Norwood** : Pindar, Berkeley, 1945.
8. **A Puech** : Pindare, IV. vols., Paris, 1923.
9. **T. Reinach et A. Puech:** Alcée, Sapho, Paris, 1937.

مراجع الفصل الخامس

1. **V. Coulon et H. Von Daele** : Aristophane, Paris, 1946.
2. **V. Ehrenberg** : The People of Aristophanes, Oxford, 1943.
3. **H.Gregoire et L.Parmentier** : Euripide, Paris, 1948.
4. **M. Grube** :The Drama of Euripides, London, 1941.
5. **P. Masqueray** : Sophocle, Paris, 1946.
6. **P. Mazon** : Eschyle, Paris, 1949.
7. **O. Navarre** : Le théatre grec, Paris, 1925.
8. **G. Norwood** : Greek Tragedy, London, 1948.
9. **G. Thomson** : Aeschylus & Athens, London, 1945.

مراجع الفصل السادس

1. **J. Finley** : Thucydides, Harvard, 1942.
2. **E. Legrand** : Hérodote, Paris, 1949.
3. **J. Powell** : The History of Herodotus, Cambridge, 1939.
4. **A. Sayce** : The ancient Empires of the East, Herodotus, I — III, London, 1883.
5. **C. Sourdille** : La Durée et l'Etendu du Voyage d'Hérodote en Egypte, Paris, 1910.

مراجع الفصل السابع

1. **E. Dupréel** : Les Sophistes, Neuchatel, 1948.
2. **W. Lamb** : Lysias, the Orator, London, 1943.
3. **W. Pickard — Cambridge** : Demosthenes and the last days of Greek Freedom, London, 1914.

مراجع الفصل الثامن

1. **A. Cresson** : Socrate, Paris, 1947.
2. „ „ : Platon, Paris, 1947.
3. **Hamilton Fyfe** : Aristotle ; Art of Poetry, Oxford, 1948.
4. **A. Taylor** : Plato ; The man and his work, London, 1949.

فهرس الأعلام

أثبتنا فى هذا الفهرس الأسماء اليونانية واللاتينية مرسومة بحروف لاتينية ، ولقد حرصنا على أن نرسم هذه الأعلام بالطريقة التى تنطق بها فى اللغة الأصلية ، إلا ما عرب وذاعت شهرته فقد كتبناه كما شاع حتى لا يختلط الأمر على القارىء .

(ا)

ابجينيس	Epigenes
ابخارموس	Epicharmos
ابنيكيون	Epinikion
ابولون	Apollon
ابولونيوس	Apollonios
ابيقور	Epikouros
اتيكا	Attike
اثوس	Athos
اثينا (الإلاهه)	Athena
اثينا (مدينة)	Athenae
اثينايوس	Athenaios
اجاثون	Agathon
اجاممنون	Agamemnon
اخارناى	Acharnai
آخيا	Achaia
اخيليوس	Achilleus
الآخيون	Achaioi
ادراستوس	Adrastos
اراتوس	Aratos
اراتوسثنيس	Eratosthenes
ارتريا	Eretria
ارتميس	Artemis
ارجوس	Argos
ارجو (السفينة)	Argo
ارجونوتيكا (ملحمة عن رحلة السفينة)	Argonautica
أرسطو	Aristoteles
أركاديا	Arkadia
اروس	Eros
اريادنا	Ariadne
إريس	Iris

Ares	آريس
Aristarchos	اريستارخوس
Aristophanes	اريستوفانيس
Eresos	اريسوس
Erinna	ارينا
Arion	اريون
Sparte	اسپرطة
Askra	اسكرا
Asklepios	اسكلبيوس
Alexandros	الاسكندر
Alexandreia	الاسكندرية
Aphrodite	افروديتا
Ephesos	افسوس
Platon	افلاطون
Aphobos	افوبوس
Akademeia	اكاديميا
Alkaios	الكايوس
Elektra	الكترا
Alkestis	الكستس
Alkman	الكمان
Ilias	الياذه

Elegos	اليجوس
Eleusis	اليوسيس
Empedokles	امپدوكليس
Amphipolis	امفيپوليس
Amuntas	امونتاس
Anakreon	أنا كريون
Anaxagoras	أنا كساجوراس
Anaximandros	أنا كسيما ندروس
Anaximenes	أنا كسمنيس
Antipatros	انتپاتروس
Antigone	أنتجونا
Antiphon	أنتفون
Antenor	أنتنور
Andromache	أندروماخا
Andromede	أندروميدا
Andokides	أندوكيديس
Enkomion	أنكوميون
Anutos	أنوتوس
Odusseus	أودوسيوس
Odusseia	أوديسا
Orpheus	أورفيوس

Oresteia	أوريستيا
Orestes	أوريستيس
Ovidus	أوفيد
Olen	أولن
Olumpos	أولمبوس
Olumpia	أولمبيا
Oidipous	أويديبوس
Aias	اياس (أجاكس)
Iambe	ايامبا
Iambos	ايامبوس
Ithake	ايثاكا
Aigospotamos	ايجوس پوتاموس
Isaios	ايسايوس
Aischulos	ايسخولوس
Aischines	ايسخينيس
Aisopos	ايسوپوس
Isokrates	ايسوكراتيس
Ios	ايوس
Aioloi	الايوليون
Ion	ايون
Ionia	ايونيا
Iones	الأيونيون

(ب)

Patroklos	پاتروكلوس
Bacchulides	باخوليديس
Parmenides	پارمنيديس
Paros	پاروس
Paris	پاريس
Palamedes	پالاميديس
Pan	پان
Panathenaia	پاناثينيا
Pindaros	پاندار
Pandora	پاندورا
Panuasis	پانوآسيس
Pausanias	پاوسنياس
Brasidas	براسيداس
Pergamos	پرجامم
Perses	پرسيس
Persephone	پرسيفونا (پروسرپينا)
Perseus	پرسيوس
Kurene	برقه
Perikles	پركليس
Protagoras	پروتاجوراس

Prodikos	پرودیکوس
Prometheus	پرومیثیوس
Priamos	پریاموس
Ptolemaios	پطلیموس
Pella	پلاّ
Pelasgoi	الپلاسجیون
Plutarchos	پلوتارخوس
Plutos	پلوتوس
Pentheus	پنثیوس
Penelope	پنیلوپا
Poseidon	پوسیدون
Polubios	پولوبیوس
Poludeukes	پولودیکیس
Pulos	پولوس
Poluphemos	پولوفیموس
Polemarchos	پولیمارخوس
Boiotia	بؤوشیا
Paian	پیان
Peisistratos	پیسستراتوس
Pelops	پیلوپس
Peloponnesos	پیلوپونیسوس
Bion	بیون
Pierie	پیریا

(ت)

Thrake	تراقیا
Terpandros	ترپندروس
Telemachos	تلیماخوس
Turtaios	تورتایوس
Titanes	تیتانیس
Teisias	تیسیاس

(ث)

Thessalia	ثسالیا
Thespis	ثسپس
Theseus	ثسیوس
Thurion	ثوریون
Thukudides	ثوکودیدیس
Thetis	ثیتس
Themis	ثیمس
Themistokles	ثیمیستوکلیس
Theognis	ثیوجنس
Theokritos	ثیوکریتوس

(ج)

Gadara	جادارا
Jason	جاسون (ياسون)
Gaia	جايا
Gorgo	جورجو
Gorgias	جورجياس

(خ)

Charon	خارون
Chalkis	خالكس
Chalkidike	خالكيدكا
Chaos	خاؤس
Chaironeia	خايرونيا
Chairephon	خايريفون
Chrusothemis	خروسوثيمس
Choirilos	خوبريلوس
Chio	خيو
Chios	خيوس
Chionides	خيونيديس

(د)

Daidalos	دايدالوس
Dareios	دارا
Delphoi	دلفى
Dithurambos	ديثورامبوس
Didumos	ديدوموس
Demosthenes	ديموستنيس
Demokritos	ديموقريطس
Diogenes Laertios	ديوجنيس لأرتيوس
Diomedes	ديوميديس
Dionusos	ديونوسوس (الإله)
Dionusios	ديونوسيوس
Dories	الدوريون
Demeter	ديميتر
Demetrios	ديميتريوس

(ر)

Rhodos	رودس
Rhea	ريا
Rhianos	ريانوس

(ز)

Zenodotos	زنودوتوس
Zenon	زينون
Zeus	زيوس

(س)

ساتوروس (الشاعر)	Saturos
ساتوروس (أحد أتباع ديونوسوس) :	Saturos
ساتوروى (ج)	Saturoi
سافو	Sappho
ساموس	Samos
ستاجيرا	Stageira
سترابون	Strabon
السفسطائيون	Sophistai
سقراط	Sokrates
سكيون	Sikuon
سلاميس	Salamis
سمورنا	Smurna
سوفوكليس	Sophokles
سولون	Solon
سويداس	Suidas
سيراكوز	Surakusai
سيمونيديس	Simonides

(ش)

شيشرون	Cicero

(ص)

صقلية	Sikelia
صيدا	Sidon

(ط)

طاليس (ثاليس)	Thales
طروادة	Troia (Ilion)
طيبة	Thebai

(ف)

فاؤن	Phaon
فايدروس	Phaidros
فايدون	Phaidon
ڤرجيل	Vergilius
فرونيخوس	Phrunichos
فريجيا	Phrugia
فوتيوس	Photios
فورميون	Phormion
فوينكس	Phoinix
فياكيان	Phaiakes
فيثاغورس	Puthagoras
فيدياس	Pheidias

فيليپ	Philippos
فيليبوس	Philebos

(ك)

كاتللس	Catullus
كادموس	Kadmos
كاستور	Kastôr
كالخاس	Kalchas
كالوپسو	Kalupso
كاليستراتوس	Kallistratos
كاليكليس	Kallikles
كاليماخوس	Kallimachos
كالينوس	Kallinos
كتسيفون	Ktesiphon
كراتولوس	Kratulos
كراتينوس	Kratinos
كريت	Krete
كريون	Kreon
كسركسيس	Xerxes
كسينفون	Xenophon
كفالوس	Kephalos
كلوتيمنسترا	Klutaimnestra
كليس	Kleis
كليستنيس	Kleisthenes
كليمنس	Klemens
كليون	Kleon
كوبيلا	Kubele
كورينا	Korinna
كورنته	Korinthos
كورنوس	Kurnos
كوس	Kos
كوكلوپيس	Kuklopes
كولوفون	Kolophon
كوما	Kume
كونتليانس	Quintilianus
كونوس كفلاى	Kunoskephalai
كونون	Konon

(ل)

لأرتيس	Laertes
لابدا كيديس	Labdakides
لايوس	Laios
لسبوس	Lesbos
لوجداميس	Lugdamis

Lusistrate	لوسستراتا
Lusias	لوسياس
Lukophron	لوكوفرون
Lukon	لوكون
Lukeion	لوكيون
Longinos	لونجينوس
Leto	ليتو
Leda	ليدا
Ludia	ليديا
Linos	لينوس
Leontine	ليونتينا
Leontinoi	ليونتيم
Leonidas	ليونيداس

(م)

Magnes	ماجنيس
Marathon	ماراثون
Marsuas	مارسوآس
Makedonia	مقدونيا
Melampous	ملامپوس
Meleagros	ملياجروس
Melesigenes	مليسيجينيس
Menandros	ماندروس
Menelaos	منيلاوس
Mimnermos	ممنموس
Mutilene	موتلينا
Mousaios	موسايوس
Moschos	موسخوس
Mucenae	موكناى
Medeia	ميـديا
Megara	ميجارا
Melos	ميلوس
Miletos	مِليتوس (مدينة)
Meletos	مليتوس (أحدخصوم سقراط)

(ن)

Nausikaa	ناوسيكا
Nestor	نستور
Nikandros	نكاندروس
Nikomachos	نيكوماخوس
Nikias	نـكياس
Nemea	نميـا
Nostoi	نوستوى
Neobule	نيوبولا

(ه)

Hades	هادیس
Halikarnassos	هالیکارناسوس
Hermes	هرمیس
Hestia	هستیا
Helene	هلینـا
Helikon	هلیکون
Horatius	هوراس
Homeros	هومیروس
Hebe	هیبـا
Hippolutos	هیپولوتوس
Hipponax	هیپوناکس
Hera	هـیرا
Herakleitos	هیراکلیتوس
Herakles	هیراکلیس
Hesiodos	هسیودوس
Herodotos	هیرودوت
Hieron	هیرون
Herondas	هیروندا‌س
Hephaistos	هیفایستوس
Hekataios	هیکاتیوس
Hektor	هیکتور
Hekube	هیکوبا
Hellanikos	هیلانـکوس
Hellenes	الهیلینیون

(ی)

Euthuphron	یوثوفرون
Eurotas	یوروتاس
Euripides	یوریپیدیس
Euphorion	یوفوریون
Euphiletos	یوفیلیتوس
Eukleides	یوکلیدیس
Eumolpos	یومولپوس
Eumenides	یومنیدیس
Eunomos	یونوموس

محتويات الكتاب

مقدمـــة

صفحـــة

١ — جغرافية بلاد اليونان ... ... ٥ — ٧

٢ — أصل اليونان ... ... ٨ — ١١

٣ — لغة اليونان ودينهم ... ... ١٢ — ١٦

الفصل الأول

عصور الأدب اليونانى ... ... ١٧ — ٣٤

١ — نشأة الملاحم ... ... ١٧ — ١٨

٢ — هوميروس ... ... ١٨ — ١٩

٣ — هيسيودوس ... ... ١٩ — ٢٠

٤ — الملاحم بعد هوميروس ... ... ٢٠ — ٢١

صفحة

٥ — الشعر الغنائى ... ... ٢١ — ٢٢

٦ — الفلاسفة الطبيعيون: ثاليس، هيراكليتوس ... ... ٢٣ — ٢٥

٧ — أثينا ، عاصمة الآداب فى القرن الخامس ... ... ٢٥ — ٢٨

٨ — زوال عظمة أثينا ... ... ٢٩ — ٣٠

٩ — عصر الإسكندرية وخصائصه ... ... ٣٠ — ٣٤

الفصل الثانى

شعر الملاحم ... ... ٣٥ — ٥٥

١ — نشأته وتطوره ... ... ٣٥ — ٣٩

٢ — هوميروس والمشكلة الهومرية ... ... ٤٠ — ٤٣

٣ — الإليـــــاذة ... ... ٤٤ — ٤٨

٤ — الأوديســا ... ... ٤٩ — ٥٢

٥ — الملاحم بعد هوميروس ... ... ٥٣ — ٥٥

الفصل الثالث

صفحة

الشعر التعليمى ... ... ٥٦ — ٦٤

١ — هيسيودوس: مولده ونشأته ... ... ٥٦ — ٥٨

٢ — الأعمال والأيام ... ... ٥٩ — ٦٢

٣ — أنساب الآلهة ... ... ٦٣ — ٦٤

الفصل الرابع

الشعر الغنائى ... ... ٦٥ — ٨٨

تمهيد : نشأته وأنواعه ... ... ٦٥ — ٦٩

١ — الاليجوس: تورتايوس، ثيوجنس... ... ... ٧٠ — ٧٤

٢ — الأيامبوس : ارخيلخوس ... ... ٧٦ — ٧٧

٣ — أغنيات الحب والزواج : سافو ... ... ٧٨ — ٨٢

٤ — أغانى النصر : پانداروس ... ... ٨٣ — ٨٨

الفصل الخامس

صفحة

المسرحية ... ... ٨٩ — ١١٦

١ — المأساة : نشأتها وتطورها ، أريون، ثسپس ... ... ٨٩ — ٩٩

٢ — شعراء المأساه : ايسخولوس،سوفوكليس، يوريپيديس ١٠٠ — ١١٠

٣ — الملهاه : خيونيديس ، كراتينوس ، اريستوفانيس ١١١ — ١١٦

الفصل السادس

التاريخ ... ... ١١٧ — ١٣٥

تمهيد : هيكاتيوس ... ... ١١٧ — ١١٩

١ — هيرودوت ... ... ١٢٠ — ١٢٨

٢ — ثوكوديديس ... ... ١٢٩ — ١٣٥

الفصل السابع

الخطابة ... ... ١٣٦ — ١٥٦

تمهيد : ازدهار الخطابة اليونانية وأنواع الخطب ... ... ١٣٦ — ١٣٨

١ — جورجياس ... ... ١٣٩ — ١٤١

٢ — لوسياس ... ... ١٤٢ — ١٤٦

٣ — ديموستنيس ... ... ١٤٧ — ١٥٦

الفصل الثامن

صفحة

الفلسفة ... ... ١٥٧ — ١٨٨

تمهيد : نشأة الفلسفة اليونانية وتطورها ، السفسطائيون ١٥٧ — ١٦١

١ — سقراط ... ... ١٦٢ — ١٧٤

٢ — أفلاطون ... ... ١٧٥ — ١٨٢

٣ — أرسطو ... ... ١٨٣ — ١٨٨

المراجع ... ... ١٨٩ — ١٩٣

فهرس الأعلام ... ... ١٩٤ — ٢٠٢

محتويات الكتاب ... ... ٢٠٣ — ٢٠٧

استدراك ٢٠٨

استـــدراك

صفحـة	سطر	خطأ	صواب
٩	٢	البلازجية	البلاسجية
١٠	١٣	رحلة الأرجونوتيكا	رحلة السفينة أرجو
١٧	١٢	شذارات	شذرات
٢٠	١٢	هيسيودس	هيسيودوس
٢٣	٦	أناكسمندريس	أناكسماندروس
٢٣	١٢	أناكسمانيس	أناكسمينيس
٢٩	١٨	مننادروس	مناندروس
٣٠	٢	مننادروس	مناندروس
٣٦	١٤	أولمبوس	أولومبوس
٦٨	١	أولمبوس	أولومبوس
٤٣	١٢	هيردوت	هيرودوت
٤٦	١٧	الأنشودتين	والأنشودتين
٥٢	١	پاناأثينا	پاناأثينيا
٥٦	٢	طريقتين	طريقته
١٠٠	٩	فرونيجوس	فرونيجوس
١٨٨	١	أرسطوا	أرسطو

الديمقراطية ، مثلهم الأعلى فى الحياة . ولقد أدى انتصار أثينا الباهر إلى انهيار الحكومات الارستقراطية وازدهار الديمقراطية فى جميع مدن اليونان ونتيجة لذلك قويت شخصية الفرد وضاعت هيبة السلطان وفقدت التقاليد القديمة احترامها وبدأ الفلاسفة يناصبون الدين العداء ويهاجمونه ويسخرون منه ، وآمن الشباب بحرية الفكر إيمانا شديداً واعتقدوا أن من حقهم تحطيم القوانين والخروج على المبادىء الخلقية فشاع الجدل ونشأت الحاجة إلى تعلم الخطابة وأساليب الإقناع حتى يتمكن الشباب من مناقشة جميع المشاكل التى تعترضه .

وظهر السفسطائيون فى ذلك الوقت وملئوا النصف الثانى من القرن الخامس واشتغلوا أول الأمر بتعليم اليونان ليكونوا مواطنين صالحين ، لقنوهم أصول البلاغة وطرق الإلقاء (جورجياس) وعلموهم مبادىء السياسة (پروتاجوراس) وقواعد النحو والصرف (پروديكوس) ، وكان من الممكن أن نذكر هؤلاء المعلمين بالتقدير والإعجاب كما فعل أفلاطون فى بعض محاوراته ، ولكن ظهرت منهم فى أوائل القرن الرابع ق. م جماعة أخذوا يتنقلون بين المدن ويبحثون عن الشباب الثرى يعلمونهم نظير أجور باهظة ، وكانوا ينتهزون فرصة المهرجانات الرياضية والأعياد اليونانية لإلقاء المحاضرات فى الأماكن العامة لقاء أجر للدخول ، فنزلوا بالعلم إلى مستوى

١٣ — بين العمل والأمل تأليف چينى لى

١٤ — مكتب البريد تأليف تاغور

١٥ — الأشباح تأليف هنريك ابسن

١٦ — مختارات من المسرحيات القصيرة

١٧ — مختارات من القصص الانجليزية القصيرة

١٨ — تاريخ الأدب اليونانى للدكتور محمد صقر خفاجه

١٩ — تاراس بولبا تأليف جوجول

٢٠ — العالم سنة ١٩٨٤ تأليف جورج وأرول

ألوان وأرقام مجموعة الألف كتاب

لكل كتاب رقمان . الأول ، الرقم العام ويدل على رقم الكتاب فى السلسلة وهو مكتوب على الصحائف الأولى وعلى كعب الكتاب ، بين اسم الكتاب واسم المؤلف. والثانى الرقم الخاص ويدل على رقم الكتاب من حيث الموضوع وهو مكتوب على الغلاف عند أسفل الكعب .

والمجموعة كلها مقسمة إلى أربعة موضوعات رئيسية لكل منها لون خاص .

١ — الأدب (أخضر) ويشمل . الأدب العام ، تاريخ الأدب ، النقد ، الشعر ، القصص

٢ — العلوم (أزرق) وتشمل . الزراعة ، الصناعة ، الطب ، الكيمياء ، الفلك ، الحيوان ، الرياضيات .

٣ — العلوم الإنسانية (أحمر) وتشمل. الاجتماع ، الاقتصاد التربية ، علم النفس التاريخ والتراجم، الجغرافيا ، الرحلات ، الدين ، السياسة ، الفلسفة ، القانون ، المعارف العامة .

٤ — الفنون (بنى) وتشمل . الإذاعة ، التصوير، الرسم،المرح، الموسيقى ، الرياضة البدنية.

مطبعة لجنة البيان العربي